



المدارس في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع الهجريين
The schools in the Euphrates Island region in the Sixth and seventh centuries AH.

أ.د. شوكت عارف محمد*

Mr. Dr. Shawkat Arif Mohammed

* م. كاذين أنور صديق

** M. Kazhin Anwar Siddiq*

قسم التاريخ- كلية العلوم الانسانية- جامعة زاخو

Department of History - Faculty of Humanities - University of Zakho

Shwkat.a.mohammed@uoz.edu.krd

تاريخ القبول: 2024 /01 / 19

تاريخ الاستلام: 2023 /12 / 28

Abstract:

Schools represent one of the important components of Islamic architecture, and their presence constituted an advanced stage in the series of developments that the education movement went through in Islamic society. Their appearance was not surprising, but rather came as a logical development for the function of the mosque. Teaching in them was not limited to religious sciences, but rather went beyond teaching various sciences. Its introduction in the Islamic East began in Nishapur and Khorasan in the forth century AH/tenth century AD. It received the support of the Sunni forces who expanded its establishment and paid attention to it due to its great role in the intellectual renaissance. Regular schools spread in many cities of the Islamic East, Iraq, and the Levant and the Euphrates Island.

The interest in schools came because they represented one of the basic pillars of Sunni regimes such as the Seljuks, Zengis, Artaqs, and Ayyubids. All of whom built their rule on the political and religious levels, as they represented intellectual castles for spreading Sunni thought to stand against some hostile extremist movements, and they

were a means of graduating civil servants, competent and loyal. One of the results of this was that schools spread in Iraq, the Levant, and Egypt, as well as in the cities of the Euphrates Island. They had an active role in the development of the scientific movement, and this is what we will try to review by talking about the schools of the Euphrates Island at that time in terms of their origins, its planning, financing, curricula, and its most prominent sheikhs.

We decided to divide the research into tow sections, and a conclusion. The first section reviewed: dealt with the emergence of Islamic schools and their spread in the Euphrates Island. The The second section was devoted to talking about: the nature of the curricula, and the administrative and financial organizations of the schools in the Euphrates Island.

Keywords : *schools; Euphrates Island, scientific centers, Islamic civilization*

المخلص:

تُمثل المدارس أحد مكونات العمارة الإسلامية المهمة، وشكل وجودها مرحلة مُتطورة في سلسلة التطورات التي مرّت بها حركة التعليم في المجتمع الإسلامي، ولم يكن ظهورها مُفاجئاً بل جاء تطوراً منطقياً لوظيفة المسجد، ولم يقتصر التدريس فيها على العلوم الدينية، بل تعداه لتدريس شتى العلوم، وكان بداية استحداثها في المشرق الاسلامي في نيسابور، وخراسان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وحظيت بدعم القوى السنية الذين اكثروا من انشاءها، والاهتمام بها لدورها الكبير في النهضة الفكرية، وانتشرت المدارس النظامية في الكثير من مدن المشرق الاسلامي، وفي العراق، وبلاد الشام، والجزيرة الفراتية.



وقد جاء الاهتمام بالمدارس كونها تمثل إحدى الدعائم الأساسية للقوى السنية كالسلاجقة، والزنكيين، والأرتاقة، والأيوبيين، حيث بنوا عليها جميعاً حكمهم على المستويين السياسي، والديني، كونها كانت تمثل قلاعاً فكرية لنشر الفكر السني للوقوف بوجه بعض التيارات المتطرفة المعادية، كما أنها كانت وسيلة لتخريج موظفين أكفاء، ومخلصين، وكان من نتائج ذلك أن انتشرت المدارس في العراق، وبلاد الشام، ومصر، كما انتشرت في مدن الجزيرة الفراتية، وكان لها دور فاعل في تطور الحركة العلمية، وهذا ما سوف نحاول استعراضه بالحدوث عن مدارس الجزيرة الفراتية آنذاك من حيث نشأتها، وتخطيطها، وتمويلها، ومناهجها، وأبرز شيوخها.

وقد ارتأينا تقسيم البحث الى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، تناول المبحث الأول: التعريف بالمدسة لغة، واصطلاحاً، ثم استعراض نشأتها، وتخطيطها، وكذلك ذكر لمدارس الجزيرة الفراتية، والمبحث الثاني، فُحصّص للحدث عن: طبيعة المناهج الدراسية، والتنظيمات الادارية، والمالية لمدارس الجزيرة الفراتية.
مشكلة البحث:تضمّنت مشكلة البحث بالاجابة على التساؤلات التالية:

* ما هي أبرز مدارس الجزيرة الفراتية التي تمّ انشائها في القرنين السادس، والسابع الهجريين؟

* ما هي دوافع انشاء المدارس في الجزيرة الفراتية آنذاك؟

* ما مدى اسهام حكام الجزيرة الفراتية من الزنكيين، والأرتاقة، والأيوبيين في انشاء المدارس؟

* ما هي طبيعة الدراسة، والمناهج الدراسية ؟

* ما هي مصادر الدخل، والتمويل للمدارس؟ وما هو دور الوقف في تمويل المدارس ؟

أهمية البحث:

* ابراز الدور الذي اضطلع به حكام الجزيرة الفراتية من الزنكيين، والأرتاقة، والأيوبيين في انشاء المدارس في مدن الجزيرة الفراتية على مدار القرنين 6هـ/7 و12 و13م.

* استعراض لأشهر مدارس الجزيرة الفراتية، ودراسة جوانب من تاريخها، وتخطيطها العمراني.

* التعرف على الجوانب الادارية، والتنظيمية للمدارس، وكذلك طبيعة الدراسة، وماهية المناهج، وأبرز الشيوخ، والعلماء الذين تصدروا التدريس فيها.
*لقاء الضوء على دور الوقف في انشاء تلك المدارس، وتمويلها.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الموضوعي، والتحليلي ملائمة لطبيعة البحث.

أهداف البحث: لقاء الضوء على مدارس الجزيرة الفراتية، كونها أحد مكونات العمارة الاسلامية المهمة، وبيان جوانب من تاريخها، وتخطيطها العمراني، والتعرف على الجوانب الادارية، والتنظيمية، وموارد تمويلها، وطبيعة المناهج، والدراسة المتبعة، وأبرز العلماء الذين تصدروا التدريس فيها.

المقدمة

يمكن القول بأن الجزيرة الفراتية هي البلاد الواقعة بين نهري دجلة، والفرات، وبهيمين نهر الفرات على الامتداد الطبيعي لمعظم أرضها، وتنتشر روافده عليها، ولعل ذلك هو السبب في إطلاق اسم الجزيرة الفراتية عليها من قبل غالبية البلدانيين، والمؤرخين المسلمين⁽¹⁾، ويكوّن نهر الفرات، الحد الغربي للجزيرة الفراتية، ونهر دجلة الحد الشرقي لها، لذلك فالحدود الشرقية والغربية، تسير مع نهري دجلة، والفرات اللذين يعدان حداً فاصلاً بين اقليم الشام غرباً، وإقليمي الجبال واذربيجان، وأرمينية شرقاً وشمالاً، وتُمثل مدينة تكريت النهاية الجنوبية للجزيرة على دجلة شرقاً⁽²⁾.

وقد سكن الجزيرة الفراتية منذ القدم العديد من الأقوام، فبالإضافة الى سكانها من الكرد الذين كانوا يقطنون في القسم الأعلى من الجزيرة، في الجهات الشرقية، والشمالية الشرقية منها، كما كانوا يتركزون في نواحي الموصل في جبال الهكارية، وعقر الحميدية، إذ



كان لهم أحياء فيها، كما استقرت في الجزيرة الفراتية بعض القبائل العربية، والأرامية الذين انتشروا في مناطق الخابور، وأعلي نهري دجلة، والفرات، ونصيبين، وجنوب غربي ماردين، فضلاً عن أقوام من الأرمن سكنت إلى الشمال من نهر دجلة الأعلى⁽³⁾.

وقد قسّم البلدان يون الم¹سلمون بلاد الجزيرة الفراتية إلى ثلاث ديار، وذلك تبعاً للقبائل العربية التي استوطنتها، وهي ربيعة، ومضر، وبكر، ومن مدن ديار ربيعة: الموصل، بلد، أذمة، نصيبين، رأس العين، سنجار، وجزيرة ابن عمر. وديار مضر ومن مدنها: الرقة، حران، الرها، سروج. أما ديار بكر، فمن مدنها: آمد، ميفارقين، ماردين⁽⁴⁾.

ويسود اقليم الجزيرة الفراتية، المناخ الذي تتباين فيه الفصول، وتتفاوت درجات الحرارة فهو بارد وممطر شتاءً، وحر جاف صيفاً⁽⁵⁾، وتتميز الجزيرة الفراتية من الناحية الطبيعية، بتباين سطحها، وأراضيها المتموجة، وتقطعها تلال، ومرتفعات على شكل هضاب مرتفعة، أو جبال منفردة، ومن أشهرها جبل الجودي قرب نصيبين، وهو الجبل الذي ارتبط ذكره بالطوفان، وقصة نوح عليه السلام، وجبل آمد، وجبل سنجار، وغيرها⁽⁶⁾.

وتُعد الجزيرة الفراتية من المناطق الغنية بمواردها المائية، ومصدرها دجلة، والفرات، اللذان يجريان في أراضيها وما يتفرع منهما من فروع وجداول تدخل ضمن نطاق حدودها، وكذلك العيون، والينابيع، والآبار، فضلاً عن الأمطار المتساقطة في فصلي الشتاء، والربيع. وتشكّل جبال طوروس شمال الجزيرة الفراتية خزاناً ضخماً للمياه، بسبب الثلوج التي تتراكم عليها شتاءً، والتي تأخذ مياهها بالذوبان في أوائل الربيع، فتند نهري دجلة، والفرات

وروافدهما بمعين لا ينضب، وتزيد منسوبها طوال العام⁽⁷⁾، كما وتتمتع أرض الجزيرة بتربة خصبة، لذلك فأن عدداً من أراضي مدنها، تتميز بخصوبتها مثل الموصل، وسنجار، والأنبار، وجزيرة ابن عمر، والرقعة، وغيرها، وهذا مما ساعد على مُمارسة النشاط الزراعة، وكثرة المراعي، وتنوع المحاصيل التي كانت تنتجها هذه المدن، ووفرتها، وبالتالي تفيض عن حاجة السكان، فتصدّر الى البلدان المجاورة⁽⁸⁾.

وكانت الزراعة تحتل المرتبة الاولى في النشاط الاقتصادي لبلاد الجزيرة، كما كان لموقع الجزيرة اكبر الأثر في ازدياد الحركة التجارية، فهي مُلتقى الطرق التي تصل البلدان، وقد بينَ ياقوت الحموي هذه الأهمية عند اشارته الى الموصل بقوله " فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان"⁽⁹⁾.

وقد ساعد النشاط التجاري على نشوء عدد كبير من الخانات، والقيساريات، والأسواق التي كان يقصدها التجار من بلاد مُختلفة، وقد أشار ابن جبير إلى بعض هذه الأسواق عند زيارته للموصل سنة 580 هـ/ 1184م مثل قيسارية مجاهد الدين قيمان، التي اعجب بها، وشبهها بالخان العظيم⁽¹⁰⁾، كما تطرق ابن جبير إلى عدد من الخانات والفنادق التي شاهدها، ونزل بها أثناء زيارته لبلاد الجزيرة الفراتية، ومنها الخان الذي نزل به في خارج مدينة نصيبين، كما ذكر بعض الخانات التي كانت مُنتشرة على الطرق والقرى المتصلة بمدينة ديسر⁽¹¹⁾، ومن المنتجات التي كان يتم المتاجرة بها في بلاد الجزيرة الفراتية كالحنطة، والشعير، والتمور، والسمسم، والكروم، وغيرها، وكذلك المواشي والاعنام⁽¹²⁾.

ويُعد القرنين السادس، والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين من فترات التاريخ الإسلامي المُهمّة، اذ شهد المشرق الإسلامي، ظهور العديد من القوى،



والكيانات السياسية المتناقضة التي حكمتها، وكثيراً ما كان الصراع، سمة ذلك التناقض من أجل السيطرة على البلاد، وتوزعت على الخارطة السياسية للعالم الإسلامي عدة قوى تمثلت بالخلافة العباسية المغلوبة على أمرها، ثم السلاجقة الذين تراجع قوتهم وتأثيرهم بسبب خلافاتهم الداخلية، واستقل عدد من كبار قادة السلاجقة، ممن اصطاح على تسميتهم الأتابكة⁽¹³⁾ بولاياتهم، وكانت هذه الأتابكيات تُعد أحد نتائج الإقطاع العسكري الذي روجه السلاجقة، وخضعت بلاد الجزيرة الفراتية آنذاك لعدد من القوى السياسية، كالأتابكة، والإمارات الارتقية⁽¹⁴⁾، والزنكيين، كما امتد إليها نفوذ، وسلطة الأيوبيين⁽¹⁵⁾.

كما شهد ذلك العصر تهديدات خارجية خطيرة، فقد استغل الصليبيون انقسام المسلمين، وضعفهم الداخلي، فسعوا جاهدين الى توسيع نفوذهم في المنطقة، فبدأ بشن حملاتهم المتوالية من أجل احتلال بلاد الشام، والجزيرة الفراتية، كما شهد ذلك العصر الغزو المغولي الذي استنزف الكثير من موارد المسلمين وطاقاتهم.

1.: نشأة المدارس، وانتشارها في الجزيرة الفراتية.

1.1: المدرسة لغةً، واصطلاحاً.

حاول الكثير من الباحثين لنشأة المدارس في الإسلام بالبحث في الأصل اللغوي لكلمة مدرسة، ولم يكن أمامهم سوى رد الكلمة إلى أصلها الثلاثي "درس"، قال ابن منظور درس: دَرَسَ الشَّيْءَ وَالرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوسًا. وَدَرَسَ الْأَثْرَ يَدْرُسُ دُرُوسًا وَدَرَسَتْهُ الرِّيحُ تَرَسُّهُ دَرَسًا أَيَّ مَحْتَهُ؛ وَمِنْ ذَلِكَ دَرَسْتُ الثَّوْبَ أَدْرُسُهُ دَرَسًا، فَهُوَ مَدْرُوسٌ وَدَرِيسٌ. وَالْمَدْرَسُ وَالْمَدْرَسُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَدْرُسُ فِيهِ. وَالْمَدْرَسُ: الْكِتَابُ. وَالْمَدْرَسُ: الْبَيْتُ الَّذِي يَدْرُسُ فِيهِ الْقُرْآنُ⁽¹⁶⁾، ولفظ المدرسة من الألفاظ المولدة عند العرب إذ أخذت من العبرانية أو

الأرمينية مدراس، أو مدرس وجمعها مدارس، ثم خَقَفَتْ فأصبحت مدارس، ولهذا فالمدرسة من مُنشآت الحضارة الإسلامية الجديدة. هذا من حيث المدلول اللغوي. وأما في الاصطلاح فهي تلك الدور المنظّمة التي يتوجّه إليها طلبة العلم، وتوفّر لهم كل المستلزمات، وما يحتاجونه لتحصيل العلم، هذا كما يتولّى التدريس فيها نخبة من العلماء المتميّزين بالصلاح، ويكون اختيارهم حسب شروط الواقف ويجازون بما تعلّموا من صنوف المعرفة، ويمكن القول أن المدرسة بنيان خيري تتميّز الدراسة فيها عن الكُتاب، والمساجد بالتعليم العالي، وتكون المدرسة مُخصّصة للتدريس والتعليم فقط. والمدرسة أُسّست لنشر نوع خاص من المعرفة تحت اشراف الدولة⁽¹⁷⁾.

2.1: أسباب تأسيس المدارس.

كثيرة هي الأسباب التي دعت المسلمين الى انشاء المدارس، ويمكن القول أن بناءها جاء مُتمماً لرسالة المسجد، اذ من المعلوم أنّ التعليم عند المسلمين كان يركّز أساساً على العلوم الدينية التي كان تدريسها في البداية يتمّ في المساجد ثمّ ما لبث أن استجدت ظروف حتمت على المسلمين من انشاء المدارس لا سيما بعد توسع المسلمين بدراسة بعض العلوم الدنيوية كالفلسفة، والطب، والهندسة وغيرها من العلوم الدنيوية مما حتم عليهم دراستها في أماكن اخرى بعيدة عن المسجد الذي صُمم أساساً للعبادة، وتعليم الناس مبادئ الدين الاسلامي، ومن جملة الأسباب التي دعمتهم الى إنشاء المدارس أيضاً هو الأجر والثواب من الله تعالى⁽¹⁸⁾.

كما كان للظروف السياسية التي مرّ بها العالم الاسلامي دور في انشاء المدارس، وكان بداية ظهورها في مدن المشرق الاسلامي في القرن الرابع الهجري في مدن نيسابور، ومرو، وبلخ، ثمّ انتشرت المدارس في بقية الحواضر كبغداد، واربيل، ومدن الشام، والجزيرة



الفراتية، ومصر، وكان للقوى السنية كالسلاجقة، والزنكيين، والأتابكة، والأيوبيين دور كبير في انتشارها كونها تُمثل بالنسبة لهم قلاعاً فكرية يُمكن من خلالها نشر المذاهب السنية في مواجهة الخصوم، والتيارات الفكرية المعادية، وفي مُقدمتها التشيع، والفكر الباطني، وكان قادة المسلمين لا سيما من الزنكيين، والأيوبيين مُدركين أنّ القوة، والعنف وحدها لا تجدي نفعاً، بل لابد من مواجِه الفكرة بالفكرة، والحجة القوية، ولهذا حظيت المدارس من قبلهم بالكثير من الدعم والرعاية لكونها كانت تُمثل احدي دعائم حكمهم في مواجهة الخصوم، لكونها وسيلة لتخريج جيل من العلماء والموظفين الأكفاء الموالين لها لإدارة مؤسساتها وتولي المناصب المهمة كالقضاء، والافتاء، والخطابة وغيرها من المناصب والمهام، فكان السلاطين يختارون موظفي حكومتهم من المتخّرجين من هذه المدارس من يكون مُلتزماً بالعقيدة السنية، وموالياً للدولة⁽¹⁹⁾.

3.1: نشأة المدارس، وانتشارها في الجزيرة الفراتية.

شكّل ظهور المدارس مرحلة مُتطورة في سلسلة التطورات التي مرّت بها حركة التعليم في المجتمع الإسلامي، ولم يكن ظهورها مفاجئاً بل جاء تطوراً منطقياً لوظيفة المسجد لذلك لم تختلف المدارس بالجملة عن هيئة المساجد إلا في فترة متأخرة، وكانت الكثير من المدارس لا تخلو من وجود بيت للصلاة، ومن وجود إمام، ومؤذن للقيام بالصلوات الخمسة، كما أقيمت في بعضها صلاة الجمعة⁽²⁰⁾، حيث كان كلاهما مكاناً للعبادة، والدراسة معاً، غير أن المدرسة تميّزت عن المسجد بخواص مُعينة أهمها: أن المدرّس بها معين من قبل الجهة المشرفة، على خلاف المدرّس بالمسجد الذي يجلس في أي مسجد يشاء، ويدرس ما يشاء من الموضوعات إذ أنه غير مُعين من أية جهة، ويكون عدد الطلبة في

المدرسة مُحدوداً، أما المسجد فليس كذلك، وما يُميّز المدرسة أيضاً وجود الإيوان "قاعة المحاضرات"، ومسكن المدرسين، والطلبة وما يتبعها من مرافق أخرى⁽²¹⁾.

ويمكن القول أنّ الحركة التعليمية في المدارس كانت مُقيدة بالاتجاه الذي يرسمه مُنشؤها، وكان المنهاج الدراسي لغالبية المدارس آنذاك ينصب على دراسة العلوم الدينية حصراً كالفقه، والتفسير، والقراءات القرآنية، وعلوم الحديث، واللغة، ثمّ ما لبثت أن غدت مراكز لدراسة علوم، ومعارف اخرى كالعلوم الرياضية، والطب، والفلك، والتاريخ، ولكن على نطاق ضيق أو ثانوي⁽²²⁾.

وكانت المدارس تُعد من أهم المؤسسات التعليمية حيث شغف طلابها بأخذ قسط وافر من العلم نظراً لأنها أكثر تنظيماً من المساجد في علومها، ومواعيدها لكن التعليم في المدارس لم يكن إلا امتداداً لحركة التعليم الإسلامي في المساجد، وظهرت فكرة بناء المدارس بعد أن ازدحم المسجد بالطلاب للدراسة، والقراءة، مما كان يُؤثر على شعائر الصلاة، حيث نشأت الحاجة الى فصل المدرسة عن المسجد، وأصبحت المدرسة مؤسسة علمية مُستقلة عن المسجد، واتخذت لها مبانٍ خاصة بها في المدن الإسلامية⁽²³⁾.

تتفق غالبية المصادر التاريخية أن بداية ظهور المدارس كان في المشرق الاسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري قبل ظهور المدارس النظامية في العصر السلجوقي، وقد أشار السبكي بهذا الخصوص حيث قال: "كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يُولد نظام الملك، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضاً بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي لما كان والياً بنيسابور، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد إسماعيل بن علي الإسترراباذي الواعظ الصوفي، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضاً"⁽²⁴⁾ ثمّ ما لبثت أن انتشرت المدارس بعد ذلك في بقية أرجاء العالم الاسلامي بدعم من الحكام



والقوى السنية كالسلاجقة الذين انتشرت في عهدهم المدارس النظامية نسبة الى الوزير السلجوقي نظام الملك(ت: 485هـ/1092م) الذي "أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، وأجرى لها الجرايات العظيمة"⁽²⁵⁾، ولعل من أشهرها المدرسة النظامية ببغداد⁽²⁶⁾. ويمكن القول أنّ المدارس التي انشئت في مستهل القرن الخامس الهجري/ 11م كانت تابعة للدولة، ومتميزة بنظمها وكوادرها العلمية كالمدرسة النظامية ببغداد التي كانت تُعد من المعاهد الأولى للدراسات العليا في العالم الإسلامي، وكان افتتاحها في يوم السبت 18ذي القعدة سنة 459هـ/1067م، وأقيم حفل حضره كبار رجال الدولة، والعلماء والوجهاء وسكان المدينة حتى امتلئ فناء المدرسة، والمحلات المجاورة⁽²⁷⁾.

وقد تطرق ابن الجوزي(ت:597هـ/1200م) للوقوف في المدرسة النظامية، والفئات المستحقة له من المنتسبين إلى المدرسة بقوله: "هذه المدرسة والوقف عليها، وفي كتاب شرطها أنها وقف على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً، وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب، وشرط أن يكون فيها مقرئ يقرأ القرآن، ونحوي يدرس العربية، وفرض لكل قسط من الوقف"⁽²⁸⁾، ثمّ توالى انشاء المدارس النظامية، واقتدى الناس بها في المدن والحواضر الاسلامية الاخرى⁽²⁹⁾.

مما سبق يمكن القول أنّ فكرة انشاء المدرسة المدرسة انتقلت من خراسان، والعراق إلى بلاد الشام واقليم الجزيرة الفراتية، إذ أنشئت المدارس سائر المدن الشامية، والجزيرة، وذكر المقرئيين أنّ الناس في الجزيرة الفراتية اقتدوا بنظام الملك في إنشاء المدارس⁽³⁰⁾، ثمّ شاع انتشارها أكثر في عهد الزنكيين، والأيوبيين، حيث عُرف عن سلاطينهم حرصهم على الاكثار من انشاء المدارس في بلاد الشام، والجزيرة الفراتية، ومصر⁽³¹⁾، والمتمنعن لجهود السلطان نورالدين محمود زنكي يُدرك حقيقة أن خطواته في إنشاء المدارس كان هدفها

نشر العلم، ودحض البدع، وامتدحه أبو شامة المقدسي(ت:665هـ/1266م) قائلاً: "وأما زمانه فهو مصروف إلى مصالح الناس، والنظر في أمور الرعية، والشفقة عليهم، وأما فكره ففي إظهار شعار الإسلام وتأسيس قاعدة الدين...من بناء الربط، والمدارس، والمساجد، حتى ان بلاد الشام كانت خالية من العلم، وأهله وفي زمانه صارت مقراً للعلماء..."⁽³²⁾.

واقترى به السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأبناؤه، وأمراءهم في بناء المدارس في بلاد الشام، والجزيرة⁽³³⁾ فذكر ابن خلدون أنهم: "استكثروا من بناء المدارس، والزوايا، والربط"⁽³⁴⁾ كما أسهمت النساء المحسنات ولا سيما الملكات وبنات الملوك والأمراء في بناء المدارس ووقف الأوقاف عليها، كما ذكر ابن جبير: "ومن النساء، والخواتين الايوبيات في بناء المدارس⁽³⁵⁾ فعلى سبيل المثال قامت ست الشام أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي(ت:616هـ / 1219م) ببناء مدرستين بدمشق هما: المدرسة الشامية البرانية⁽³⁶⁾ والمدرسة الشامية الجوانية⁽³⁷⁾ وبنّت الست عذراء بنت أخي صلاح الدين المدرسة العذراية بدمشق⁽³⁸⁾، وبنّت عصمة الدين خاتون زوجة نورالدين محمود ببناء المدرسة الخاتونية الجوانية بدمشق أيضاً⁽³⁹⁾ وبنّت زوجة السلطان الملك المعظم عيسى الأيوبي ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر(المدرسة الخاتونية الحنفية) في سنة 610هـ/ 1213م⁽⁴⁰⁾.

يتضح مما سبق إهتمام جميع الحكام الذين تولوا الحكم في إقليم الجزيرة الفراتية خلال فترة البحث بإنشاء المدارس التي كانت عاملاً في ازهار الحياة العلمية، وتخرج الكثير من العلماء ، وبلغت بعض المدارس من الشهرة بحيث أخذ طلاب العلم يشدون الرحال إليها، وكانت عاملاً في توثيق الصلات العلمية بين أقطار العالم الاسلامي طيلة العهدين الزنكي، والأيوبي.



4.1: تخطيطها:

كانت مُدن الجزيرة الفراتية في العصرين الزنكي، والأيوبي تزخر بعنصرين من عناصر العمارة هما: الأسوار والقلاع، والحصون، فضلاً عن عناصر العمارة المدنية، وفي مُقدمتها المدارس، التي تسابق السلاطين، والأمراء، وأهل اليسار على تشييدها، وكانت تعتمد أساساً على الوقف الذي مكّنها من الاستمرار في القيام بدورها في إثراء الحركة العلمية، واهتم المنشؤون باختيار المواقع المناسبة لمدارسهم فاخترت الأماكن المشرفة على الأنهار، والمنتزهات، لأن مناظرها الجميلة تبعث في نفس الطالب الرغبة في الدراسة والبحث، مثال ذلك نظامية بغداد التي كانت تقع على شاطئ دجلة في وسط سوق الثلاثاء⁽⁴¹⁾.

وعندما مرّ الرحالة ابن جبير سنة 580هـ/1185م بأحدى مدارس مدينة رأس العين في الجزيرة الفراتية وصف موقعها بقوله: "ما أرى أنه كان في موضوعات الدنيا مثل موضع هذه المدرسة، لأنها في جزيرة خضراء والنهر يستدير بها من ثلاثة جوانب، والمدخل إليها من جانب واحد، وأمامها ووراءها بستان، وبإزائها دولا ب يلقي الماء إلى بساتين مرتفعة عند مصب النهر، وشأن هذا الموضع كله عجيب جداً، فغاية حسن القرى بشرقي الأندلس أن يكون لها مثل هذا الموضع جمالاً"⁽⁴²⁾ ومن الأمثلة الأخرى أن حاكم ماردين الارتقي قطب الدين ايلغازي بن البي (580-572هـ/1176-1184م) أنشأ مدرسته القطبية قبيل سنة 580هـ/1184م خارج في موضع حسن، تحيط به البساتين، وعندما زار ابن جبير مدينة دنيسر شاهد تلك المدرسة التي أثارت إعجابه فقال عنها: "وأخرجها مدرسة جديدة، بقية البناء فيها، ويتصل بها حمام، والبساتين حولها، فهي مدرسة ومؤنسة وصاحب هذه البلدة قطب الدين"⁽⁴³⁾.

وبعد اختيار الموقع المناسب يجري التفتن في هندسة البناء وزخرفته، وتزييقه، بحيث تكون المدرسة تحفه معمارية، وتشتمل المدرسة في العادة على قاعات للتدريس تسمى الواحدة منها إيواناً، وكان الطبيب أبا المجد محمد بن عبید الله الباهلي(ت:570هـ/1174م يُلقى محاضراته في الطب على طلابه في الإيوان الكبير التابع للبيمارستان النوري⁽⁴⁴⁾.

وكان في كل مدرسة مسجد خاص بها يتناسب مع حجمها، ويظهر ذلك في المدرسة الشهيدية التي أمر ببنائها حاكم ماردين الملك المنصور أرتق أرسلان ناصرالدين بن قطب الدين إيلغازي(ت:636هـ/1238م)، ثمّ زاد ولده الملك السعيد نجم الدين إيلغازي(ت:659هـ/1261م) الذي ورثه في الملك في بناء بعض أقسامها، كما زوّدها بمنبر، وأثاث فاخر، وأمر بإقامة صلوات الجمعة فيها بعدما ازدحم الناس في مملكته ماردي هرباً من الغزو المغولي، وكان التدريس فيها يقوم على المذهبين الحنفي، والشافعي⁽⁴⁵⁾.

وكانت بعض المدارس تبني في وسط المدن بجوار جامعها، مثل المدرسة السديدية التي أنشأها القاضي سديد الدين سنة 538هـ/1143م في مدينة ماردين بجوار الجامع الكبير، وهي على المذهب الحنفي، وقصدها الطلبة من ماردين، وجوارها لشهرة شيوخها، وتنوع علومها⁽⁴⁶⁾.

كما اشتملت معظم مدارس الجزيرة الفراتية على سكن للمدرسين، والطلبة، وتصرف عليهم جميع متطلباتهم ومستلزماتهم من مأكّل، ومشرب، وملبس، وأدوات الكتابة والدرس، كما كان طلبة العلم يتقاضون مرتباً شهرياً تحدده شروط وقفية المدرسة لتغطية بعض نفقاته الدراسية، وقد أخذ السلاطين، والأمراء في بناء مدارسهم على نمط النظامية، ونظامها التعليمي والمعاشي، فأصبح للمدرسة بناء يحتوي على غرف للدراسة، ومكتبة، ومساكن للطلاب، ومطبخ، وحمام، وأوقاف توقف عليها، وفناء، وهذا يتضح في



المدرسة الشهيديّة التي سبق ذكرها، فقد كانت المدرسة تضم عدة غرف، إلى جانب الإيوان، والمسجد⁽⁴⁷⁾.

كذلك كان لكل مدرسة خزانة كتب أو مكتبة خاصة بها تتناسب مع حجمها، وسعة أوقافها، مثل مكتبة المدرسة البدرية في الموصل، وخزانة المدرسة النورية⁽⁴⁸⁾ ومكتبة المدرسة الحسامية في ماردين الذي بناها حسام الدين تيمورثاش سنة 547هـ/1153م والتي كانت تحوي كتباً قيّمة أشاد بها ابن الأزرقي الفارقي أثناء زيارته لها سنة 577هـ/1181م⁽⁴⁹⁾ وغيرها من المكتبات المدرسية التي ساهمت في إثراء التعليم، وازدهاره.

وكانت غالبية مدارس الجزيرة تحوي مدافن، أو التربة الخاصة التي يدفن بها واقف المدرسة، وبانيها، وأحياناً يُدفن إلى جانبه كبار شيوخها الذين خدموا بها، مثل مدرسة الأتابكية العتيقة المنسوبة إلى سيف الدين غازي بن عماد الدين (542-544هـ/1146-1149م)⁽⁵⁰⁾ والمدرسة النجمية في ماردين فقد كانت تضم تربة دفن بها مؤسس المدرسة نجم الدين⁽⁵¹⁾ والمدرسة العزية التي شيدها عز الدين مسعود الأول بن قطب الدين مودود صاحب الموصل (576-589هـ / 1180-1193م)، وانشأت تربة فيها دفن فيها بعد وفاته⁽⁵²⁾ وقد شاهد المؤرخ ابن خلكان هذه المدرسة فوصفها قائلاً: "ورأيت هذه المدرسة، والتربة وهي من أحسن المدارس والترب..."⁽⁵³⁾.

ويمكن القول أن انتشار المدارس في مدن الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين يُعد بحد ذاته مظهراً قوياً لرقى الحياة العلمية آنذاك، كما أنه دليل على مدى دعم حكامها للعلم، والعلماء⁽⁵⁴⁾ وقد برز في ذلك العصر عنصران من عناصر العمارة الإسلامية الأولى: المدارس، والثاني: بناء الأسوار والقلاع، فقد كانت حواضر الجزيرة الفراتية تزخر بعمارة المدارس التي أشرف على تشييدها السلاطين، والأمراء، وأهل اليسار،

وكانت تعتمد أساساً على الوقف الذي مكّنها من الاستمرار في القيام بدورها في إثراء الحركة العلمية، وديمومتها، ويختار لها من العلماء، وطلبة العلم، المشهود لهم بالكفاءة، والتبحر في مُختلف العلوم.

5.1: مدارس الجزيرة الفراتية في القرنين 6 و7هـ:

انتشرت في مدن الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين عدد كبير من المدارس التي اضطلعت بدور مؤثر في الحركة العلمية آنذاك، وفيما يلي استعراض لأبرز تلك المدارس:

1-مدارس الموصل:

يُمكن القول أنّ مدينة الموصل قد شهدت منذ نهاية القرن 6هـ/12م في ظل حكم الأتابكة ازدهراً للحركة العلمية، وكان من مظاهر ذلك انشاء العديد من المدارس، وهذا ما لاحظه الرحالة الأندلسي ابن جبير عند زيارته للمدينة سنة 580هـ/1184م واصفاً المدارس التي كانت موجودة في ذلك العهد بالقول: "وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست، أو أزيد على دجلة، فتلوح كأنها القصور المشرفة"⁽⁵⁵⁾، ومن الجدير بالذكر أن بعض تلك المدارس يعود انشائها الى فترة سابقة للأتابكة مثل: (المدرسة النظامية): وهي أقدم مدرسة أنشئت في الموصل في العصر السلجوقي، أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك (ت:485هـ/1189م)، وكان مكانها بالقرب من الجامع النوري⁽⁵⁶⁾ ومن مدارس الموصل أيضاً:

-المدرسة المهاجرية: وكانت من المدارس المُخصّصة لتدريس المذهب الشافعي، يعود بناءها الى سنة 522هـ/1128م⁽⁵⁷⁾.

- والمدرسة الأتابكية العتيقة: ومُؤسسها سيف الدين غازي بن عماد الدين (541-544هـ/1146-1149م)، الذي دفن بها بعد وفاته، ووصفت بأنها من أحسن المدارس، وأوسعها،



وكان قد جعلها وفقاً على الفقهاء من الشافعية، والحنفية، ودرّس بها خيرة العلماء، ووردها العديد من الفقهاء ليدرّسوا فيها⁽⁵⁸⁾.

-والمدرسة الكمالية: وكان قبل أنشاءه عبارة عن مسجد ثمّ قام صاحب اربل زين الدين علي كوجك بن بكتكين (ت: 563هـ/ 1167م) بتحويله الى مدرسة، ومن أشهر مُدرّسيها أبو الفتح موسى بن محمد بن منعة، الملقب كمال الدين، الذي درّس بها حتى وفاته سنة 639هـ/ 1241م⁽⁵⁹⁾ وعُرفت هذه المدرسة بالكمالية لطول فترة تدريسه فيها⁽⁶⁰⁾.

-ومدرسة الجامع النوري: التي شيدها نورالدين محمود زكي بالجامع النوري المعروف سنة 568هـ/ 1172م⁽⁶¹⁾ ورصد لها بعض قرى الموصل وقفاً لها، وللجامع⁽⁶²⁾ وفوّض التدريس فيها الى الفقيه أبو بكر محمد بن إسماعيل الشافعي أحد تلاميذ الامام الغزالي⁽⁶³⁾.

-والمدرسة الكمالية القضيوية: التي شيدها أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري (ت: 572هـ/ 1176م)، وكان من أشهر العلماء أيام الأتابكة، أتمن القضاء، وأصبح قاضي على مدينة الموصل، وكان أديباً، وشاعراً معروفاً، له خبرة كبيرة في إدارة شؤون الدولة، جعل التدريس في هذه المدرسة على المذهب الشافعي، ثمّ إنتقل الى دمشق، فولّاه نورالدين محمود زكي قضائها، وكان مسموع الكلمة عند الملوك، وأهل السلطة⁽⁶⁴⁾ وقد أعقبه في التدريس علماء أجلاء منهم: ابنه قاضي القضاة محمد بن كمال الدين الشهرزوري (ت: 586هـ/ 1190م).

-والمدرسة المجاهدية: نسبةً الى مؤسسها مجاهد الدين قايماز، وعُرفت باسمه، وجعلها وفقاً على الشافعية، وقد أورد ابن الأثير اسم هذه المدرسة في حوادث سنة 595هـ/ 1198م عند حديثه عن سيرة مُجاهد الدين قايماز قائلاً: "انه بنى الربط، والمدارس، والخانات في الطرق..."⁽⁶⁵⁾، وهذا ما أكده المؤرخ ابن الساعي (ت: 674هـ/ 1275م) بالقول: "وبنى جامعاً

بظاهر الموصل، وبنى الى جنبه مدرسة للشافعية، ورباطاً للصوفية، ومارستاناً للمرضى الى غير ذلك...⁽⁶⁶⁾.

- والمدرسة العزية: وكان تشييدها على يد عزالدين مسعود الأول بن قطب الدين مودود صاحب الموصل (576-589هـ / 1180-1193م)، وقد وصفها ابن الأثير في كتابه الباهر بقوله: "وهو الذي ابنتى المدرسة الغربية(العزية) بباب دار المملكة، وهي مدرسة حسنة، جعلها للفريقين الحنفية، والشافعية، وقزّر للفقهاء ما ليس بمدرسة أخرى من الفواكه، والحلوى، والدعوات في المواسم، والأعياد... وقرر وقفها كل أسبوع وفي الأيام الشريفة، والليالي المباركة شيئاً كثيراً"⁽⁶⁷⁾ وأنشأ عزالدين مسعود تربة فيها، ودفن فيها بعد وفاته⁽⁶⁸⁾ وقد شاهد المؤرخ ابن خلكان(ت: 681هـ / 1282م) هذه المدرسة فوصفها قائلاً: "ورأيت هذه المدرسة، والتربة، وهي من أحسن المدارس، والترّب..."⁽⁶⁹⁾، وممن درّس فيها عماد الدين أبو حامد بن يونس بن منعة العقيلي الشافعي(ت: 608هـ / 1211م)⁽⁷⁰⁾.

- والمدرسة النورية: التي يعود بنائها الى الملك العادل، أبو حارث نورالدين أرسلان شاه بن عزالدين مسعود الأول(589-607هـ / 1193-1210م)، وجعلها وقفاً للشافعية⁽⁷¹⁾ ووصفها البعض بأنها من أحسن مدارس الموصل⁽⁷²⁾.

- والمدرسة الزينية: التي قام ببنائها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفي سنة 563هـ / 1167م، فُسّمت بإسمه، وفوّض التدريس بها الى عماد الدين بن يونس (535-608هـ / 1140-1211م)⁽⁷³⁾.

- والمدرسة القاهرية: أقيمت هذه المدرسة في عهد الملك القاهر عزالدين مسعود بن أرسلان بن مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل (ت: 615هـ / 1218م)، أنشأها



مقابل داره⁽⁷⁴⁾ وكان العلامة الكبير كمال الدين بن يونس العقيلي أحد العلماء الذين درّسوا فيها⁽⁷⁵⁾.

- والمدرسة البدرية: وكان تأسيسها في عهد بدرالدين لؤلؤ بن عبد الله صاحب الموصل قبل سنة 615هـ/1218م، وكان بنائها على أنقاض مسجد بقلعة الموصل، وسميت هذه المدرسة على إسمه⁽⁷⁶⁾ وكان موقعها على شاطئ دجلة، وتصدّر التدريس عدد من المشايخ منهم: محمد بن علوان بن مهاجر الموصلية (542-615هـ/1147-1218م)⁽⁷⁷⁾.

- والمدرسة اليوسفية: ويُقال أن هذه المدرسة قد بُنيت من قبل أبو الفتح نصر الله بن علي بن نصر الله الموصلية الحنفي (ت: 654هـ/1256م)⁽⁷⁸⁾.

2- مدارس اربل:

- مدرسة القلعة: وكانت تُعد الأولى التي تمّ تأسيسها في مدينة اربل من قبل نائب صاحب اربل الأمير منصور سرفتكين الزيني سنة 533هـ/1138م⁽⁷⁹⁾، واختار الفقيه الشافعي أبو العباس الخضر بن نصر بن عقيل الإربلي (567هـ/1171م) ليشرف على تدريسها⁽⁸⁰⁾ وقد تخرّج على يده مجموعة من طلبة العلم، كان من بينهم ابن أخيه نصر بن عقيل (ت: 619هـ/1222م)⁽⁸¹⁾.

- والمدرسة العقيلية: التي أنشأها الفقيه الشيخ أبو العباس الخضر في سنة 567هـ/1171م، وتولّى التدريس فيها ثمّ أعقبه ابن أخيه نصر بن عقيل⁽⁸²⁾ وممن تولّى التدريس في هذه المدرسة أيضاً: علم الدين أبو البركات محمد بن عبد السلام بن الخطيب السنجاري (ت: 605هـ/1208م)⁽⁸³⁾.

-والمدرسة المجاهدية: أسسها مجاهد الدين أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني في اربل سنة 571هـ/ 1175م، وتولى التدريس بها الفقيه الشافعي أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الإربلي⁽⁸⁴⁾.

-المدرسة المظفرية: أقامها الملك المعظم مظفرالدين كوكبري صاحب اربل قبل سنة 608هـ/ 1211م، وكانت قد بُنيت لتدريس المذهبين الحنفي، والشافعي معاً، وكان كثير التردد لها، وممن تولى التدريس بها: المحدث أم المؤيد زينب الشعرية(ت: 615هـ/ 1218م)، شيخة ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان، وكان له إجازة بدراسته عندها سنة 610هـ/ 1213م⁽⁸⁵⁾، وكذلك درّس فيها شرف الدين أبو الفضل أحمد بن كمال الدين موسى بن يونس بن منعة العقيلي⁽⁸⁶⁾.

-المدرسة الفقيرة، أو مدرسة الطين: شَيدها أبو سعيد كوكبري صاحب اربل قبل سنة 618هـ/ 1221م، وجعلها وقفاً على فقهاء المذهب الشافعي، ودرّس بها القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي بكر المهاني الشافعي(ت: 627هـ/ 1229م)، وغيره من الشيوخ⁽⁸⁷⁾.

3-مدارس ماردين، وديسر.

تميّزت مدينة ماردين كونها كانت إحدى مدن الجزيرة الفراتية التي شهدت نشاطاً علمياً لا سيما في عهد امرائها من الأرتاقة الذين عُرف عنهم دعمهم للعلماء، وحبهم لنشر العلوم، والمعارف، وأسهموا في انشاء الكثير من المدارس، ولعلّ من أشهرها:

-المدرسة النظامية: واقِمت في مدينة ماردين من قبل نظام الدين البقش⁽⁸⁸⁾، وهي من المدارس التي انشئت في عهد الأرتاقة، وقد أشار إليها ياقوت الحموي، كما ذكرها ابن شداد، وسماها مدرسة نظام الدين التي أسسها نظام الدين بقش في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وهو أحد مماليك قطب الدين ايلغازي صاحب ماردين⁽⁸⁹⁾.



-والمدرسة النجمية: وُسِّمَت نسبة الى مؤسسها الملك نجم الدين إيلغازي الأول بن أرتق ملك ماردين(502- 516هـ/1108- 1122 م)، وهي على المذهب الحنفي، وكان نجم إيلغازي، وأخوه سقمان من أكبر أمراء السلطان تنش السلجوقي، كان نجم إيلغازي في بداية أمره في بغداد ثم انتقل إلى ماردين وأصبح حاكماً عليها⁽⁹⁰⁾ واهتم ببناء المؤسسات ذات الخدمة العامة، ومنها هذه المدرسة التي تمتعت في عهده بشهرة واسعة حيث قصدها الطلبة من سائر ديار الجزيرة الفراتية، وقد ألحق نجم الدين بهذه المدرسة تربة، ودفن فيها عند وفاته سنة 516هـ/1122م⁽⁹¹⁾.

-والمدرسة السديدية: وقد أنشأها القاضي سديد الدين قبل سنة 538هـ/1143م، وموقعها بجوار الجامع الكبير في وسط ماردين، وهي على المذهب الحنفي⁽⁹²⁾.

- المدرسة الحسامية: بناها الملك حسام الدين تيمورتاش سنة 547هـ/1153م، وهو ابن الملك نجم الدين إيلغازي الأول، وبنى بجوار هذه المدرسة مسجداً، وتربة، ورصد لها الكثير من الأوقاف، وزودها بالبسط، والستور، وما تحتاجه، وجمع فيها خزانة كتب عظيمة كانت لاتزال موجودة الى حين زيارة المؤرخ ابن الأرزق الفارقي لمدينة ماردين سنة 577هـ/1181م الذي ذكر هذه المدرسة في تاريخه باسم مدرسة المشهد العظيم⁽⁹³⁾.

- المدرسة الخاتونية أو ست رضية: وشيبتها الخاتون(رضية) أخت شاه أرمن بن أحمد بن سقمان الأرتقي، أقامتها للعلامة القاضي علم الدين عبدالرحمن بن جمال الدين أحمد التكريتي(ت: 576هـ/1182م) ليدرّس فيها، فدرّس بها مدة ثم انقطع وارتحل الى تكريت، ولم تشر المصادر الى المذهب الذي كان يدرس فيها⁽⁹⁴⁾.

- المدرسة الخاتونية الحنفية: أنشأها إحدى خواتين آل أرتق من بنات الملوك وهي الخاتون عزيزة الدين أخشا خاتون، وقيل أحشورا خاتون، بنت الملك قطب الدين إيلغازي الثاني

ملك ماردين، وزوجة السلطان الملك المعظم عيسى الأيوبي ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر التي بنت المدرسة المذكورة سنة 610هـ/1213م، ودرّس بها جلة من الفقهاء⁽⁹⁵⁾.

-مدرسة أمين الدين: وكان بناءها من قبل امين الدين أخو الملك نجم الدين إيلغازي، ثم أتمها الملك نفسه في عام 615هـ/1122م، وضمت المدرسة على عدة أقسام منها: المسجد، وقاعة الدروس، وحمام، وسبيل للماء، وكانت مبنية فوق أرض مُنحدرة، ولها صحن دار كبير

(96)

- المدرسة الشهيديّة: وتمّ تأسيسها من قبل الملك المنصور أرتق، وأقام بها السعيد نجم الدين غازي المتوفي سنة 659هـ/1261م منبراً ، ويدرس فيه مذهبان، أمر ببناءها الملك المنصور أرتق أرسلان ناصر الدين ابن قطب الدين إيلغازي الثاني ملك ماردين، وقام ولده الملك السعيد نجم الدين إيلغازي الذي ورثه في الملك، أجرى عليها بعض الإصلاحات والتحسينات، وزاد فيها، كما زوّدها بمنبر، وأثاث فاخر، وأمر بإقامة صلوات الجمعة فيها لكثرة ما التجأ الى دياره ماردين من الناس هرباً من الغزو المغولي، ويفيد ابن شداد أن التدريس في هذه المدرسة كان يقوم على المذهبين الحنفي، والشافعي⁽⁹⁷⁾.

وفي مدينة دنيسر القريبة من ماردين كان بها أيضاً عدة مدارس مثل:

-المدرسة الشهابية: من أشهر مدارس دنيسر، ولا تُشير المصادر الى مؤسسها، وتاريخ انشاءها، ويتضح من خلال ما ذكره ابن اللمش أثناء الحديث عن أحد شيوخها وهو الفقيه ابو العباس احمد بن مسعود المغربي القرطبي الشافعي(ت:601هـ/1204م) أنه كان أول من درّس بالمدرسة الشهابية بدنيسر، واستمر يُدرس في هذه المدرسة حتى وفاته⁽⁹⁸⁾.

- المدرسة القطبية: لم تُشر المصادر الى بانها، وتاريخ انشاءها، الا أننا نرجح أن حاكم ماردين الارتقي قطب الدين ايلغازي بن الب(580-572هـ/1176-1184م) هو الذي أمر



ببنائها ولهذا عُرفت بتلك التسمية، أما موقعها، وتاريخ انشائها فإنها كانت خارج المدينة، وأنها بُنيت قبيل سنة 580 هـ/1184 م، ومما يُؤكّد ذلك الرحالة ابن جبیر الذي زار دنیسر في نفس السنة، وشاهدها فقال: " وخارجها مدرسة جديدة، ويتصل بها حمام، والبساتين حولها، فهي مدرسة، ومؤنس وصاحب هذه البلدة قطب الدين"⁽⁹⁹⁾.

مدرسة حرزم: نسبة الى بلدة صغيرة تابعة لدنیسر يقال لها حرزم، وكانت قد بنيت للحافظ والفقیه ابو محمد عبدالخالق النشتري(ت:649هـ/1253م) الذي كان أول شیوخها⁽¹⁰⁰⁾ ومؤسسها هو حاكم ماردين الارتقي الملك المنصور ناصرالدين ارتق الذي حكم ما بين (637 597 هـ/1200-1239م)، الذي اشتهر كونه كان: " كان عالماً فاضلاً تقياً، يتجل العلم وأهله،... وله خيرات وافرة ...، بنى بحرزم مدرسة عظيمة، وربّتها من الأوقاف، والوظائف الى غير ذلك من الخيرات الحسان"⁽¹⁰¹⁾.

4-مدارس مدينة سنجان:

وكان فيها عدد من المدارس التي بقيت قائمة آنذاك رغم تعرض المدينة للكثير من الأحداث، والحروب، ومنها هجمات المغول سنة 660هـ/1262م، فقد ذكر ابن شداد الذي كان معاصراً للأحداث أنّ المغول لم يتعرضوا لسنجان عند احتلالها سوى أنهم خرّبوا سورها، وقلعتها فقط، ويعني ذلك أنّ باقي مباني المدينة بقيت محافظة على نفسها⁽¹⁰²⁾، وقد ذكر ابن شداد أسماء ستة مدارس كانت الدراسة قائمة فيها خلال هذه الفترة، وتقع اثنان منها داخل أسوارها وهي: المدرسة التي أنشأها نورالدين محمود بن عمادالدين زكي، وجعلها وقفاً للمذهب الحنفي، و مدرسة أخرى أنشأها صدرالدين المعروف بابن الشيخ، وكانت وقفاً لفقهاء المذهب الشافعي، كما كان فيها أربع مدارس أخرى تقع خارج أسوار المدينة وهي: المدرسة التي أنشأها الأمير مجاهد الدين قايمار المتوفي سنة 595هـ/1198م،

وكانت وفقاً لأصحاب المذهب الحنفي، ومدرسة أنشأها شمس الدين المعروف بابن الكافي، وكانت وفقاً لأصحاب المذهب الشافعي، والحنفي، ومدرسة أخرى أنشأتها أم قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي، ودفن فيها الملك الفائز ابراهيم بن الملك العادل⁽¹⁰³⁾.

- والمدرسة العمادية: وأنشأها عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار المتوفي سنة 594هـ / 1197م⁽¹⁰⁴⁾ وقد عُرف عن عمادالدين زنكي، صاحب سنجار دعمه للعلماء لا سيما من المذهب الحنفي، حتى قيل عنه: " إنه كان مُتعصباً جداً للمذهب الحنفي، فأنشأ مدرسة خاصة لهم، وشرط أن يكون النظر للحنفية من دون الشافعية، وشرط أن يكون البواب، والفرش على مذهب أبي حنيفة، وشرط للفقهاء طبخاً طبخ لهم كل يوم"⁽¹⁰⁵⁾.

5-مدارس مدينة نصيبين:

- مدرسة نصيبين الأولى: شَيدَها أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، ورصد لها موارد للإنفاق عليها، وعلى شيوخها، وطلاب العلم الموجودين فيها، والتي كانت موجودة قبل سنة 572هـ/ 1176م⁽¹⁰⁶⁾.

- مدرسة نصيبين الثانية: وهي مدرسة شُيِّدَت قبل سنة 757هـ/ 1356م، ولا يُعرف من أنشأها⁽¹⁰⁷⁾.

6-مدارس حصن كيفا:

كانت مدينة حصن كيفا من المدن الصغيرة مُقارنة مع غيرها من مدن اقليم الجزيرة مثل آمد، وماردين، وميفارقين، إلا أن وجود ثلاث مدارس فيها إنما يدل على مدى اهتمام سكانها بتلقي العلم، وأصول المعرفة⁽¹⁰⁸⁾، غير أنه لم يرد معلومات عن وصف هذه المدارس، وما زالت أطلال مدرسة قديمة بالقرب من السور الشرقي لمدينة حصن كيفا شاهداً حياً على اهتماماتهم بالجانب العلمي، والثقافي⁽¹⁰⁹⁾ ولم يقتصر الاهتمام العلمي على العامة من



الناس فحسب، بل قد أولى حكام وأمراء حصن كيفا من الأرتاقة، والأيوبيين اهتماماً خاصاً بإنشاء المدارس محبة للعلم، والعلماء، ومن هذه المدارس:

-المدرسة العادلية: وهي من إنشاء الملك العادل محمد بن أيوب بن شادي (540-615هـ/1145-1218م) أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، إذ أنشأها في حصن كيفا عندما تولى زمام الأمور ببلاد الجزيرة من قبل أخيه الملك السلطان صلاح الدين⁽¹¹⁰⁾.

ويتضح مما سبق إهتمام جميع الحكام الذين تولوا الحكم في إقليم الجزيرة الفراتية خلال فترة الدراسة بالحركة العمرانية، وقاموا ببناء المدارس أو تجديد ما موجود منها في السابق، وخاصة المدارس التي يُدرّس فيها المذهب الشافعي، والحنفي، وبعض المدارس التي يُدرّس فيها المذهب الحنبلي، ومن الملاحظ على هذه المؤسسات التعليمية أنها قد سميت إسم مؤسسها لتخليد أسمائهم في التاريخ.

7-مدارس جزيرة ابن عمر:

-مدرسة ابن البرزي: وهي من المدارس التي كانت موجودة في مدينة جزيرة ابن عمر، وقد نُسبت هذه المدرسة الى مؤسسها الشيخ أبي القاسم عمر بن محمد بن عكرمة بن البرزي الجزري الفقيه الشافعي(ت: 560هـ/ 1164م)⁽¹¹¹⁾، وكان يُلقب بزین الدين جمال الإسلام، وقد وصفه الذهبي بالامام عالم أهل الجزيرة⁽¹¹²⁾ تقّقه أولاً بالجزيرة على الشيخ أبي الغنائم محمد بن الفرج بن منصور السلمي الفارقي نزيل جزيرة ابن عمر، ثمّ رحل الى بغداد، وتلقّى العلم على الفقيه الشافعي أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، والمعروف بالكيا الهراسي من أهل طبرستان، كان قد رحل الى بغداد، وتولّى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد مدة⁽¹¹³⁾ وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي الفقيه الشافعي(ت: 505هـ/1111م)، وقد قام ابن البرزي بنفسه بالتدريس في مدرسته، ودرّس فيها، وأفتى إلى أن مات

بها في سنة 577هـ/ 1179م، وتخرّج من هذه المدرسة طائفة من العلماء منهم أبو طاهر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الفقيه الجزري الشافعي، وأبي طاهر إبراهيم الفقيه عيسى بن محمد الهكاري الملقب بضياء الدين (ت: 585هـ/ 1056م)⁽¹¹⁴⁾ الذي قام بالتدريس في مدارس الشام، وأصبح فيما بعد من المُقربين الى السلطان صلال الدين الأيوبي، ومن مشاهير أمراء الدولة الأيوبية⁽¹¹⁵⁾.

- مدرسة ظهير الدين قايماز الأتابكي⁽¹¹⁶⁾، ومدرسة القاضي جمال الدين عبد الرحيم⁽¹¹⁷⁾.
ومدرسة الأمير أبو الفضل شمس الدين باتكين بن عبد الله (ت: 640هـ/ 1242م)⁽¹¹⁸⁾ وكانت هذه المدارس الأربعة مخصّصة لتدريس المذهب الشافعي⁽¹¹⁹⁾.

9-مدارس مدينة آمد:

-المدرسة التاجية: نسبة الى مؤسسها تاج الدين، وتقع شرقي جامع آمد⁽¹²⁰⁾.

-مدرسة آمد: إحدى مدارس إقليم الجزيرة، وقد أنشأها الوزير أحمد بن أبي قاسم بن أحمد السلامي المعروف بضياء الدين ابن شيخ السلامية (ت: 621هـ/ 1224م) وزير الأمير الأرتقي قطب الدين سليمان بن قرّة أرسلان، نشأ ضياء الدين ابن شيخ السلامية بالموصل، وتفقّه فيها، وحفظ القرآن، بنى بأمد مدرسة لأصحاب الشافعي، ووقف عليها أملاكه⁽¹²¹⁾ وأشار ابن شداد الى هذا المدرسة دون ذكر تفاصيلها⁽¹²²⁾.

10- مدينة حران:

خلال زيارة ابن جببر لمدينة حران لم يذكر سوى مدرسة واحدة في ذلك الوقت بقوله: "ولهذه البلدة مدرسة"⁽¹²³⁾ دون أن يذكر أي تفاصيل عنها، ومما لاشك فيه أن هذه المدرسة



عائدة الى نورالدين محمود بن زكي بن آق سنقر، وقد سُميت بالمدرسة (النورية) نسبة إليه⁽¹²⁴⁾.

وهناك مدرسة أخرى قام بإنشائها قاضي حران شمس الدين شقير عبد الله ابن عبد الأحد بن سلامة التنوخي الحراني ولد في شعبان سنة 633هـ/1233م، وكان من أكابر بيوت حران، سمع عيسى بن سلامة بحران، وابن خليل بحلب وسمع (الأربعين) من أبي الفتح البكري، ومن داود بن ملاعب وغيرهم، وكان أديباً فاضلاً كريماً، مُتجماً، عمّر مدرسة في مدينة حران، ومسجداً توفي سنة 708هـ/1308م، أما ابن شداد فقد ذكر أن في مدينة حران مدرسة قامت بإنشائها الشيخة الفاضلة نسبية بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية، وقد اشتهرت باسم (ست النعم)، وهي سيدة جلييلة عُرفت بالأعمال الصالحة، والحرص على نشر العلم، توفيت سنة 716هـ/1316م⁽¹²⁵⁾.

11-مدارس ميفارقين.

كما اهتم الملوك والأمراء الأيوبيون في ميفارقين بالمدارس اهتماماً كبيراً لما لها من أثر في تنشيط الحركة الفكرية، ومن بين هؤلاء الملوك الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل، وأخوه الملك المظفر شهاب الدين غازي الذي أنشأ المدرسة الحنفية في ميفارقين، ولم يكن الاهتمام بالحركة الفكرية في ميفارقين مُقتصراً على الملوك الأيوبيين وحدهم، إنما شاركهم آخرون في ذلك، فقد أنشأ فخرالدين عثمان المعروف بابن الفقاعي مدرسة الشافعي، وتولى التدريس فيها، ومدرسة أخرى أسسها الملك المظفر شهاب الدين بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، صاحب ميفارقين، وخلاط(ت: 646هـ/1248م)، وجعلها وقفاً لتدريس المذهب الحنفي، كما كانت بميفارقين مدرسة ثالثة لتدريس المذهب الحنبلي، وتقع أمام جامع المدينة⁽¹²⁶⁾.

12-مدارس الرقة:

وكان بها مدرستان بناها نورالدين محمود زنكي، إحداهما تُدرّس المذهب الحنفي، والثانية لتدرس المذهب الشافعي⁽¹²⁷⁾

2. طبيعة الدراسة، والتنظيمات الادارية لمدارس الجزيرة الفراتية.

1.2: طبيعة الدراسة، ومراحله.

كانت غالبية مدارس الجزيرة الفراتية كغيرها من المدارس التي ظهرت في بلاد الشام، ومصر آنذاك احادية المذهب، فقد كان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة: الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي مدارسه الخاصة التي كانت تُدرّس فيها إلى جانب المواد الدراسية الأخرى لا سيما علوم الحديث، واللغة، والأدب، والنحو، والمنطق، والتفسير، وأصول الدين، ويستدل على ذلك مما ذكره ابن جماعة(ت: 733هـ/ 1332م) إذ يقول أن على المدرس أن يبدأ بالتفسير، ثمّ الحديث عن أصول الدين، ثمّ أصول الفقه، ثمّ المذهب، ثمّ الخلاف والنحو أو المنطق، ويختتم الدوام بدرس في الزهد والرقائق⁽¹²⁸⁾ ودرّست بعض المدارس إلى جانب علوم اللغة، والشريعة، والطب والهندسة، والفلك والجغرافية، وغيرها من العلوم⁽¹²⁹⁾ وربما تخصّصت بعض المدارس في تدريس بعض العلوم الدنيوية بعينها كالمدرسة الدنيسرية التي كانت مُتخصّصة في تدريس الطب⁽¹³⁰⁾.

وكان هناك مراحل للتعليم، فقد كانت الدراسة تبدأ في كتاتيب الأطفال، وغالباً ما كانت تبنى إلى جوار المساجد التي تقام فيها حلقات العلم⁽¹³¹⁾ وكانت الكتاتيب تستقبل الأطفال منذ سن الخامسة حتى التاسعة من العمر، أما طرق التعليم فقد وصف لنا الرحالة ابن جبير في أثناء زيارته سنة 580هـ/ 1183م فقال: " وبتعلم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأسفار وغيرها تزجهاً لكتاب الله عزّ وجلّ



عن ابتدال الصبيان له بالإثبات والمحو⁽¹³²⁾ وندرك من حديث ابن جبير أن الأطفال كانوا يستخدمون الألواح الخشبية أثناء الكتابة، فهي من الوسائل التعليمية التي تساعدهم على المحو والإثبات أثر من سواها، وبذلك كانت الكتابيب تعنى بتعليم القرآن الكريم قراءة وحفظاً عن طريق التلقين.

ويبدو أن التعليم في الكتابيب كان يُشرف عليه أكثر من معلم، فهناك الملقن الذي كان يُعلّم الأطفال قراءة القرآن الكريم وحفظه، وبعد فراغه منهم ينتقل الأطفال إلى حجرة أخرى يعلم فيها الكتابة والخط⁽¹³³⁾ ولم يكن جميع الأطفال يذهبون إلى الكتابيب بل كان بعضهم يتلقى علومه على أهله، أو على أحد الشيوخ اختاره الأهل واتفقوا معه على المواضيع التعليمية التي يرغبون تعليمها لولدهم لقاء أجر يتفق عليها أيضاً⁽¹³⁴⁾ وهذا النوع الأخير من التعليم شبيه بالمدارس الابتدائية الخاصة في أيامنا.

ومما سبق يتبين أنه كان يُشرف على الكتابيب معلمون مقرئون، حافظون لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا من مهنة التعليم وسيلة لكسب العيش. وبعد اجتياز الطالب المرحلة الأولى بنجاح، كان يلتحق بإحدى الحلقات في المساجد أو إحدى المدارس الصغيرة مما تعادل المرحلتين المتوسطة والثانوية في عصرنا الحالي، وتتوقف أهمية ما كان يتلقاه الطالب من علوم ومعارف على شهرة شيوخه الذين أخذ عنهم.

وقداهتم حكام الجزيرة من الزنكيين، والأيوبيين، والارائقة بالمدارس لما لها من أثر في تنشيط الحركة العلمية، ومن بين هؤلاء الملوك الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل، وأخوه الملك المظفر شهاب الدين غازي الذي أنشأ المدرسة الحنفية في ميفارقين، ولم يكن الاهتمام بالحركة العلمية مُقتصراً على الحكام وحدهم إنما شاركهم الوزراء، وبعض العلماء، فقد أنشأ فخر الدين عثمان المعروف بابن الفقاعي مدرسة الشافعي وتولى

التدريس فيها، ومدرسة أخرى أسسها شهاب الدين غازي صاحب ميفارقين (646هـ/1248م)⁽¹³⁵⁾ وكانت مخصصة لتدريس المذهب الحنفي، فضلاً عن ذلك فإن هناك مدرسة ثالثة أنشأت في ميفارقين خاصة بالمذهب الحنبلي، وتقع بالقرب من جامع المدينة⁽¹³⁶⁾ وبذلك تعددت انتماءات المدارس وفقاً للمذاهب المختلفة.

2.2: طرق التدريس، والشهادات (الاجازة):

أما طريقة التدريس التي كانت متبعة آنذاك ، فقد جرت العادة أن يجلس الشيخ، أو المدرس على كرسي في غرفة الدرس على مكان مرتفع ويجلس الطلاب حوله على شكل حلقة، فيلقي المدرس الدرس عليهم من كتاب بين يديه، ثم يتم فتح باب المناقشة في موضوع الدرس، أو قد يتعرض مسألة من مسائل الفقه، أو الحديث، أو اللغة، أو الأدب أو غيرها من العلوم فيقوم بشرحها وتقديم شواهد عليها⁽¹³⁷⁾.

وكان يجب على من يتصدر التدريس فيها أن يكون مُتمكناً بالعلوم التي يدرّسها، وفي طريقة الإلقاء، وهذا يقول السبكي (ت:771هـ/1370م) " أما المدرس فحق عليه أن يحسن أداء الدرس، وتفهمه الى الحاضرين، ثم ان كانوا من المبتدئين فلا يُلقى عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدرّهم ويأخذ بالأهون فالأهون الى أن ينتهوا الى درجة التحقيق"⁽¹³⁸⁾ واعتمد التدريس على التلقين، والإلقاء والإملاء، حيث اعتمد التلقين في المرحلة الأولى، وكان المعلم يلقن الأطفال قراءة القرآن الكريم. أما في المراحل التالية فقد اعتمد فيها (الإلقاء، والإملاء)، فكان الشيخ يقوم بإلقاء الدرس على الطلبة من محفوظاته، أو مذكراته أو كتابه، ويكون الإلقاء بطيئاً ليتمكن الطلاب من التدوين في مذكراتهم وهذا ما كان يسمى إملاء. وبعد فراغ الشيخ من الإلقاء، غالباً ما كانت تعاد قراءة ما دون من قبل المدرس أو المعيد ليصحح ما دونه الطلبة، وفي هذه الحالة كان يكلف الشيخ أحد الطلبة بالقراءة أولاً



قبل أن يلقيه هو نفسه ثمّ يعيد بعد قراءته على الطلبة، وكان الشيخ يتوقف عن القراءة كلما رأى الحاجة تدعو لذلك، ليشرح ويوضح ما صعب على الطلبة، حيث كان الطلاب يدوّنون هذه الشروحات والإيضاحات على أوراق خاصة، أو على عارضات الكتب وهوامشها، كما كان المدرس يقوم بأغلب الأحيان بإلقاء مجموعة من الأسئلة على الطلبة ليدرك استيعابهم وفهمهم للدرس، ثمّ يقوم بالإجابة بنفسه عما يصعب عليهم الإجابة عنه، وهذا ما أشار إليه المحدث ابن الصلاح الشهرزوري(ت: 643هـ/ 1245م) فقال: "السماع من لفظ الشيخ: وهو ينقسم إلى إملاء وتحديث من غير إملاء وسواء كان من حفظه أو من كتابه"⁽¹³⁹⁾.

كما عرفت المدارس في اقليم الجزيرة كغيرها من البلاد طريقة المناظرة، التي تعمل على شحذ الذهن، وتقوية الحجة والتمارين على سرعة التعبير، وتعويد المناظرين الثقة بالنفس، والقدرة على الارتجال، ولهذه الأسباب عنى بها المسلمون عناية كبيرة وعدوها من طرق التعليم، وكثيراً ما كانت المناظرات العلمية تُعقد بين العلماء في مواضيع علمية مُتعددة يحضرها كبار الشيوخ، وأعيان الدولة، والطلبة⁽¹⁴⁰⁾.

ولتفعيل طريقة المناظرة في التعليم، فقد اشترط العلماء شروطاً منها أن يكون غرض المتناظرين بحث العلم وإحياء الحق والهدف الثقافي البحث، لا الجدل الخالص، وحب الانتصار على الخصم، وهكذا كان جدل الأئمة الكبار، والفقهاء والعلماء أمثال الشافعي، وإسحاق بن راهوية، وأبي حنيفة، وأن يكون المتناظران عالِمين بارعين متسامحين غير حقودين ولا غيورين ولا مرائين⁽¹⁴¹⁾.

أما ساعات الدوام اليومي في المدرسة فتبدأ في العادة بعد طلوع الشمس وتستمر حتى الظهر، فقد أفق بعض كبار العلماء، أنّ المدرس إذا ذكر الدروس في مدرسة قبل طلوع

الشمس، أو آخره إلى ما بعد الظهر لم يستحق معلوم التدريس... لمخالفته العرف المعتاد في ذلك"⁽¹⁴²⁾ وتحدد مواعيد الدروس خلال الدوام اليومي تبعاً لمصلحة الطلبة، وينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره إذا لم يكن عليه (المدرس) فيه ضرر ولا مزيد كلفة"⁽¹⁴³⁾.

أما مدة المحاضرة فيجب أن لا تكون طويلة مملة ولا قصيرة مُخلة كما يقول ابن جماعة " ويراعى في مدة الدرس مصلحة الحاضرين وفائدتهم، فلا يطيله إطالة مملة ولا يقصره تقصيراً مخللاً"⁽¹⁴⁴⁾ وإذا قدرنا المدة التي حددها للدوام اليومي من طلوع الشمس إلى الظهر، بست ساعات، ووزعناها على برنامج الدروس اليومي الذي ذكره ويتضمن ستة دروس يومية، فإن مدة الدرس لا تزيد عن ساعة واحدة هذا في العلوم الإنسانية والدينية، أما في العلوم التطبيقية فكانت مدة الدرس الذي يلقيه الطبيب أبو المجد بن أبي الحكم الباهلي (ت: 570هـ/ 1174م) في البيمارستان النوري ثلاث ساعات⁽¹⁴⁵⁾.

واشتمل نظام الدوام المدرسي على عطل أسبوعية وسنوية، فكانت العطلة الأسبوعية يومي الثلاثاء والجمعة، وقد تلغى بقرار من ناظر المدرسة، فقد ألغى ناظر المدرسة الأمنية علاء الدين ابن الزمكاني (ت: 690هـ / 1291م) العطلة الأسبوعية "يومي الثلاثاء والجمعة" في مدرسته " اقتضى رأيه ونظره أن الدرس يذكر كل يوم حتى يوم الجمعة، والثلاثاء... وهذا من العجائب التي لم تعهد، ولم يعترض عليه أحد"⁽¹⁴⁶⁾ ومن بين إجراءات هذا الناظر تقصير عطلة العيد فجعلها تنتهي بعد العيد بثلاثة أيام، ويبدو أنها كانت أطول من ذلك لأن النعيمي يجد هذا الإجراء من العجائب التي لم تعهد، أنه " ذكر الدرس بعد العيد بثلاثة أيام"⁽¹⁴⁷⁾.



ويذكر أنّ المدرس الناجح هو من وصف بالحلم، والصبر، وبحسن الإلقاء، والشرح الجيد وغير ذلك مما يساعد الطالب على الثقة بنفسه وبمدرسه، ولقد كان أسلوب الشدة والضرب من الأساليب المرفوضة في تلك الحقبة، ويروي لنا ابن العديم (ت:660هـ / 1262م) في كتابه "بغية الطلب" أنه أمام إحدى مدارس حلب، كان قد وضع في بركة الماء التي تقع في صحن المدرسة سمكاً فغسل فقهاء المدرسة ثيابهم بماء تلك البركة فمات السمك، وانزعج الإمام من عملهم، فأساء معاملتهم وقام بضرهم، فطرد هذا الإمام من المدرسة بسبب تصرفه هذا⁽¹⁴⁸⁾.

أما عن عدد ساعات التدريس، التي كان يتلقاها الطلبة كل يوم وعن العلوم التي كانت تدرس، فيقول ابن كثير في وفيات سنة 676هـ / 1277م، وفيها مات شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى الشافعي النووي، وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً درسين في الوسيط، ودرساً في المهذب ودرساً في الجمع بين الصحيحين، ودرساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جني، درساً في المنطق لابن السكيت، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه، وتارة في اللمع لأبي اسحق، وتارة في المنتخب لفخري الدين، ودرساً في أصول الدين⁽¹⁴⁹⁾.

ومن هذا يتضح لنا أن الطالب كان يتلقى كل يوم دروساً في الفقه والحديث واللغة وآدابها والمنطق وأسماء الرجال. والجدير بالذكر أن هذا المنهج على ما يبدو وضع للمرحلة التي تعادل (ما يسمى في عصرنا الحاضر بالتعليم العالي)، لأن هذه المصنّفات التي جاء على ذكرها ابن كثير تعد من أمهات الكتب في فنونها.

ولما كانت المؤسسات التعليمية من الكتاتيب، والحلقات في المساجد، والمدارس، والخوانق وغيرها بحاجة إلى دخل ثابت للإنفاق كي يضمن للأئمة والطلبة فيها مستوى

كريماً من العيش ولكي يتفرغوا إلى البحث والدراسة والعطاء، لجأ أرباب البلاد من زنكيين وأيوبيين إلى تدعيم مدارسهم بالأوقاف الكبيرة التي أوقفوها عليها كالقرى، والمزارع، والطواحين، والحمامات، والدكاكين وغير ذلك، وكانت هذه الأوقاف تعد الأساس في واردات هذه المؤسسات، كما كانت الأموال تدفع من خزانة الدولة على شكل جامكيات رواتب وهبات للمدرسين⁽¹⁵⁰⁾.

وهذه المدارس كان يقوم على تشييدها السلاطين والأمراء وأهل العلم، وأهل المال، وكانت المدارس تعتمد أساساً على الوقف الذي يوقف لتلك المدارس، حتى تواكب على استمراريتها في القيام بدورها التعليمي، ويختار لها من الشيوخ، وطلبة العلم المشهود لهم بالكفاءة العالية، وقد لفت كثرة الأوقاف المرصودة على المؤسسات العلمية في المشرق الاسلامي انتباه الرحالة ابن جبير فكان أن دعى أبناء جلدته من المغاربة، والأندلسيين للرحلة الى المشرق للتعلم فقال مخاطباً اياهم: "فمن شاء الفلاح من نشأ من مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد فيجد الأمور المعينات كثيرة، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة"⁽¹⁵¹⁾ ومن الأوقاف المرصودة على المدارس نذكر على سبيل المثال لا الحصر الأوقاف التي رصدها نورالدين محمود لبناء المساجد، والمدارس، والخانقاهات، والربط، حيث رصد لها الموارد بسخاء⁽¹⁵²⁾ وقد أحصى أبو شامة المقدسي ما أوقفه نورالدين محمود من موارد في سبيل البر ونشر العلم في المنشور الذي أصدره سنة 552هـ/ 1157م بنحو مائتي الف دينار، وكان قد خُصصَ قسماً كبيراً منها للصراف على مدارس المذاهب الأربعة، وعلى أئمتها، ومدرسيها، وفقهاءها، وكذلك على تعليم الأيتام، والغرباء، لا سيما المغاربة ممن إنقطعت بهم السبل⁽¹⁵³⁾ كما أشاد العماد الأصفهاني بأوقاف نورالدين محمود بالقول: "ولو شغلت باحصاء وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب ولم أبلغ الى امد"⁽¹⁵⁴⁾ وكان أثر تلك



الأوقاف، والإنفاق المادي السخي واضحاً في إنتعاش حركة التعليم، ونشر المذهب السني في مملكته، وبنيت في عهده الكثير من المدارس، امتدحه ابن خلكان بالقول: "أنه بنى المدارس في المدن الكبير مثل دمشق، وحلب، وحمص، وبلبلب، ومنبج، والرحبة.. وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري، ورتب له ما يكفيه، وبحمارة الجامع الذي على نهر العاصي، وجامع الرها، وجامع منبج"⁽¹⁵⁵⁾ كما كان له دور في التوجه لإعادة مصر الى الصف السني(ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5/ 385)، وهكذا فقد أصبح نورالدين محمود في سلوكه قدوة لمن عاصره من الملوك، والأمراء، والوزراء فنهجوا نهجه في دعم المذهب السني، وإنشاء المدارس، والإنفاق عليها من ذلك ما قام به أخوه سيف الدين غازي بالموصل(541-544هـ/ 1146-1149م) من إنشاء المدارس، وتشجيع العلم⁽¹⁵⁶⁾ كذلك ما قام به الأمير أسد الدين شيركوه(ت:564هـ/ 1168م) الذي كان من كبار امرائه، فقد شارك في بناء مدرسة بدمشق، ووقفها على المذهبين الشافعي، والحنفي⁽¹⁵⁷⁾ كما اقتدى به السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي عُرف عنه دعمه الكبير للعلم، والعلماء، فعلى سبيل المثال أثنى الرحالة ابن جبیر على جهود صلاح الدين في الاهتمام بالمدارس بالقول: "ما من مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان عليه يعمّ جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها، وتهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال"⁽¹⁵⁸⁾.

وتختلف المدة التي كان على الطالب قضاؤها في الدراسة حتى يتخرج، ويحصل على إجازة من المدرسة التي يدرس فيها، باختلاف الأمصار الإسلامية، واختلاف أساليب التعليم فيها كما يفهم من قول ابن خلدون: "يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة، وهي بتونس خمس سنين، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف عليه، هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة

العلمية، أو اليأس من تحصيلها"⁽¹⁵⁹⁾ وربما احتاجت التخصصات العلمية كالطب، والهندسة لفترة أطول من العلوم الدينية والاجتماعية، لأنها تحتاج إلى التجربة والخبرة والمراس⁽¹⁶⁰⁾.

والإجازة هي الشهادة التي يمنحها المدرس أو الشيخ لتلميذه، ويأذن له فيها بتدريس كتابه أو رواية الأحاديث التي أخذها عنه، وعادة ما تكون مكتوبة على الورقة الأخيرة من الكتاب الذي أجزبه الطالب مثل "أتم فلأن قراءة هذا الكتاب علي وأجزت له تدرسه"⁽¹⁶¹⁾ وهي ضرورية لمن يريد ممارسة مهنة التدريس، حيث يشترط في العالم أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه"⁽¹⁶²⁾.

وكان موضوع الإجازات العلمية يمثل مظهراً من مظاهر الحياة العلمية، والجدير بالذكر أن الإجازات كانت متشابهة من حيث الشكل والمضمون في جميع أنحاء العالم الإسلامي. وقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للقيام بالإفتاء والتدريس أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرس ويكتب له بذلك⁽¹⁶³⁾ أما الإجازة بعراضة الكتب، فقد جرت العادة أن الطالب إذا حفظ كتاباً في فن من فنون العلم، كان يعرضه على مشايخ العصر حيث يفتح منه أبواباً يستقرئها إياها، فإن مضى فيها من غير توقف أو تلثم، استقل يحفظه تلك المواقع على حفظه كل الكتاب⁽¹⁶⁴⁾. ومن هذا يتبين أن أركان الإجازة كانت: المجيز - والمستجير - والإجازة نفسها، كان طالب العلم بعد أن يشبع رغباته من أئمة تكبره يرحل عنها في طلب العلم، وبعد أن كانت الرحلة تقتصر على علم الحديث أصبحت الرحلة لطلب علم الحديث وسواه. وهذا ما أشار إليه ابن جبير الأندلسي أثناء رحلته إلى مدن الجزيرة، فكانت تلك الرحلة وما يتصل بها ممثل الوحدة الثقافية للعالم الإسلامي بأبهى صورها.

3.2: الهيئة التعليمية، والادارية في المدارس الجزرية.



ومن الجدير بالذكر أن مدارس أقليم الجزيرة كغيرها من المدارس آنذاك قد تمتعت بنظام اداري، وتعليمي دقيق ضمن لها الاستمرار في أداء دورها، ووظيفتها العلمية، حيث كان يوجد في كل مدرسة هيئة ادارية منظمة تتمثل في ناظر الوقف⁽¹⁶⁵⁾، والقيم⁽¹⁶⁶⁾، والمؤذن، والبواب، والخدم، فضلاً عن الهيئة التعليمية التي تتمثل بـ(المدرسين)، و(المعيدين)⁽¹⁶⁷⁾، والفقهاء (الطلاب) ، وكان عدد الطلاب يتباين من مدرسة الى اخرى حسب حجم المدرسة، وواردها من الوقف.

وقد تنوع العاملون بالتدريس بين الشيخ، والمدرس، والمعيد، ووظيفة المعيد تلي مرتبة المدرس لأن الأصل فيه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد على الطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه⁽¹⁶⁸⁾ وأصبح منصب المعيد له المكانة العالية آنذاك، فقلما خلت مدرسة منه، فقد عين صلاح الدين الأيوبي معيدين بالمدرسة الناصرية بالقاهرة إلى جانب الخبوشاني مدرسها وناظر وقفها، وكذلك في المدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يشغل فيها أربعة من المدرسين، وقد عين لكل منهم معيدان يساعده، ثم أصبح ذلك شيئاً مألوفاً في عصر المماليك إذ تشير معظم وثائق الوقف إلى تحديد عدد المعيدين بجانب المدرسين في أية مدرسة تقام⁽¹⁶⁹⁾.

وكان تعيين المعيدين عادة يتم من قبل ناظر الوقف فهو الذي كان يقوم بتعيينهم في وظائفهم، ويمكن القول أن نظام المعيدين هو نظام إسلامي أصيل، أخذت به نظم التعليم المعاصرة، وذلك بتعيين كل من تظهر عليه مؤهلات الذكاء والنباهة ، وذلك لتدريبهم على ممارسة مهنة التعليم، وتشجيعهم على الاستمرار في البحث والدراسة والاستزادة من العلوم والخبرة حتى يكونوا كوادر علمية تساهم في جودة العملية التعليمية⁽¹⁷⁰⁾.

وكان لقب (الشيخ) من الألقاب التي لُقّب بها أهل العلم توقيراً له، وكلما زاد الشيخ علماً ارتفعت مكانته فكان يقال: شيخ المحدثين، وشيخ القراء، وغير ذلك. كما كان يقال: شيخ المدرسة، وشيخ الرباط، وشيخ دار الحديث، وشيخ الشيوخ، وعلى سبيل المثال الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر وبي مشيخة دار الحديث بدمشق، وإن تنصيب الشيخ لم يكن وفقاً على العلماء من الرجال، ومع ذلك فإن العنصر النسائي كان قليلاً، إذا ما قورن بالعلماء من الذكور، ويعد الشيخ والمدرس من الذين يتبوؤون مراكز موقوفة في الدولة⁽¹⁷¹⁾.

أما الرواتب التي كان يتقاضاها المدرسون، والعلماء في المدارس فكانت تُصرف لهم شهرياً بما يليق بمنزلتهم، ومكانتهم العلمية⁽¹⁷²⁾ وربما أعرض بعض الشيوخ الميسورين عن تلقي الأجر، إذ كانوا يعتمدون على ما يأتهم من موارد من أملاكهم، ومزارعهم في الإنفاق على أنفسهم وأسرهم⁽¹⁷³⁾، وأعتدت المدارس في دفع نفقات التعليم فيها على ريع الوقف الذي يُرصده الواقف لها والذي قد يكون أرضاً زراعية، أو سوقاً تجارياً، أو مباني سكنية، فقد ذكر ابن جبير في أثناء رحلته إلى الجزيرة وبلاد الشام سنة 580هـ/1184م " أن البلدة تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيها وكل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة، يعين لها السلطان، أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها، وهذه أيضاً من المفاخر المخلدة، ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها من مالها الأوقاف، ومن الأمراء من يفعل ذلك"⁽¹⁷⁴⁾.

وقدّمت المدرسة إلى جانب الرواتب للعاملين فيها والطلاب، خدمات اجتماعية لنزلائها من المدرسين والطلاب والفقراء فعندما أسّس صلاح الدين المدرسة الصلاحية سنة 583هـ/1187م "أجرى على بعض الفقراء والقراء والفقهاء الجامكيات والجرديات"⁽¹⁷⁵⁾.



و ما دمنا في مجال الحديث عن المدارس من المفيد أن ننوه الى المكتبات الملحقة بها، فقد كان لكل مدرسة مكتبتها الخاصة بها، مثال ذلك: مكتبة المدرسة البديرية في الموصل، وخزانة كتب المدرسة النورية وغيرها من المكتبات المدرسية التي ساهمت في إثراء التعليم وتطوره، وقد ضم بعضها الاف المجلدات⁽¹⁷⁶⁾، وكان يقوم على خدمتها عدد من الموظفين كالمخازن وهو مسؤول عن تخزين الكتب، والنساخ وكان عملهم نسخ الكتب، والمجلدون الذين كانوا يقومون بتجليد الكتب⁽¹⁷⁷⁾.

ونخلص من هذا إلى أن جهود الزنكيين، والأرأثقة، والأيوبيين انعكست على الحياة العلمية، والفكرية، فقد عرف عن حكاهم اهتمامهم بالعلم والعلماء، وبناء المراكز العلمية لا سيما المدارس التي زاد عددها في عهدهم زيادة ملحوظة. وقد أعجب ابن جبير الذي زار بلاد الشام، والجزيرة في سنة 580هـ / 1184م، من نهضة العلمية، وسرّه كثرة دور العلم من المساجد والمدارس والربط والخانقاهات فيها، ومما لا شك فيه أن ازدياد عدد المدارس كانت له أسباب قوية في العصر آنذاك ضمن إطار حركة الإحياء السني للوقوف بوجه التيارات الفكرية المعادية ولا سيما التشيع الباطني.

الخاتمة

1- كان بروز المدارس في المشرق الاسلامي على يد القوى السنية في القرن الرابع الهجري، ثم انتشارها، وشيوعها في القرون اللاحقة يُمثل مرحلة مُتطورة في سلسلة التطورات التي مرّت بها حركة التعليم في المجتمع الإسلامي، وكان ظهورها مُكملاً لوظيفة المسجد، الا أنها اختلفت عن المساجد كون التدريس فيها لم يقتصر فقط على العلوم الدينية، بل تعداه لتدريس مختلف العلوم.

- 2- برز في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين عنصرين من عناصر العمارة هما: العمارة الحربية، كالأسوار والقلاع، والحصون، فضلاً عن مظاهر العمارة المدنية، كالمدارس التي حظيت باهتمام حكام الجزيرة من الأتابكة الزنكيين، والأرتاقة، والأيوبيين باعتبارها أحد الدعائم الاساسية التي بنوا عليها حكمهم على المستويين السياسي، والديني.
- 3- تسابق حكام الجزيرة الفراتية وامرائهم في انشاء المدارس التي زاد عددها بشكل ملحوظ في القرنين السادس، والسابع الهجريين، وكان لها دور فاعل في ازدهار الحركة العلمية، كما أنها كانت تمثل قلاعاً فكرية لنشر الفكر السني للوقوف بوجه بعض التيارات المتطرفة المعادية، ولا سيما التشيع الباطني.
- 4- كانت غالبية مدارس الجزيرة الفراتية كغيرها من المدارس التي ظهرت في بلاد الشام، ومصر آنذاك احادية المذهب، فقد كان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة: الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي مدارسه الخاصة.
- 5- تمّ اختيار مواقع المدارس، وتخطيطها على نحو يساعد على إنجاح العملية التربوية، واشتملت مبانيها على قاعات للتدريس، ومسجد، ومسكن للمدرسين، والطلبة، ومكتبة، كما واهتم المنشؤون باختيار المواقع المناسبة لمدارسهم فاختاروا الأماكن المشرفة على الأنهار، والمنتزهات، لأن مناظرها الجميلة تبعث في نفس الطالب الرغبة في الدراسة والبحث.
- 6- اشتملت المناهج الدراسية في مدارس الجزيرة على علوم الشريعة، واللغة، والحساب، والمنطق، مع بعض العلوم الاخرى كالتطب، والعلوم الرياضية، كما تخصصت بعضها في تدريس الطب، أو الفلك.



7- تألفت الهيئة العاملة في مدارس الجزيرة من الناظر، والمدرسين، والمعيدين، والقيّم، والنواب، والإمام، والمؤذن، وروعي في اختيارهم جميعاً التقوى والصالح والكفاءة، وصرف للعاملين والطلاب أرزاق نقدية شهرية، وطعام يومي، وعمل بعض ناظري المدارس ومدرسيها، في أكثر من وظيفة إلا إذا اشترط الواقف خلاف ذلك.

8- أسهمت المدارس في تخرج طبقة من الإداريين السنة الذين شغلوا المناصب المهمة في الدولة مثل القضاء، وساعدت على ظهور العديد من الأدباء والكتاب الذين أثروا الحضارة الإسلامية بمؤلفاتهم في مختلف حقول المعرفة، كما لعبت بعض المدارس دوراً اجتماعياً مهماً، حيث كان يتوفر فيها السكن للفقراء والمحتاجين، فضلاً عن المساعدات المالية، والعينية التي كانت تقدمها لهم.

9- كانت مدارس الجزيرة الفراتية تعتمد أساساً على الوقف الذي ساهم في استمرارها في القيام بدورها التعليمي، وأداء رسالتها على خير وجه، وقد لفتت كثرة الأوقاف، والموارد المرصودة على تلك المدارس انتباه الرحالة ابن جبير، وكان يصرف منها على أئمتها، ومدرسيها، وفقهائها، وكذلك على تعليم الأيتام، والغرباء، لا سيما المغاربة ممن إنقطعت بهم السبل.

هوامش البحث والاحالات

. الهوامش:

(1) الاصلطخي، المسالك والممالك، تحقيق: م. ج. دي غويه، ليدن، 1927، ص 71؛ ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، 1979، ص 189؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، بغداد، د.ت، 273.

- (2) ابن حوقل، صورة الارض، ص 189؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906، ص137، 138.
- (3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص 137، 138؛ سوادى عبد محمد الرويشدي، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، بغداد، 1989، ص 88.
- (4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص 137 - 138؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، (د/ت)، 2/134؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 273 .
- (5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص142؛ محمد جاسم المشهداني، الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري، بغداد، 1977، ص54.
- (6) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ليدن، 1885، ص 132؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 279.
- (7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص 144-145؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، دمشق، 1978، مقدمة المحقق، ج3/ق1/40.
- (8) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، مقدمة المحقق، ج3/ق1/40.
- (9) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5/223.
- (10) ابن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، 2003. 1959، ص184.
- (11) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 188.
- (12) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت 1997، 50/12؛ الرويشدي، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، ص 302 وما بعدها.
- (13) الأتابكة: مفردها أتابك، وهو لفظ تركي مركّب من مقطعين (أتا) ومعناها اب و(بك) وتعني أمير وتعني (الوالد الأمير) وهو الذي يربي اولاد السلاطين السلاجقة لحدائثة سنهم: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، 1968، 328/2؛ رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي 541-631، بيروت، 1975، ص 27.
- (14) الإمارات الارتقية: نسبة إلى الأراتقة وتحديداً إلى أرتق بن اكسك، أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه(465-475هـ/1072-1082م) وقد اقطعه السلاجقة القدس 479هـ/1086م، وعند وفاته سنة 483هـ/1090م انتقلت إلى ولديه سقمان وايلغازي، فضلاً عن بعض القلاع الجزرية كالرها، وسروج،



- وغيرها من المناطق، واستمرت هذه العائلة تحكم المنطقة حتى مطلع القرن التاسع الهجري. للمزيد من التفاصيل ينظر: عماد الدين خليل، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام 465-812هـ/1072-1409 م، بيروت، 1980.
- (15) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، القاهرة، 1963، ص 183؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين، القاهرة، 1964، ص 57.
- (16) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، 1414هـ، ص 79-80.
- (17) محمد منير سعد الدين، المدارس الاسلامية في العصور الوسطى، بيروت، 1995، ص 11-12.
- (18) عبدالله بن علي بن سلمان القحطاني، الحياة العلمية في الرقة خلال العصر العباسي، اطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، 2012، ص 176.
- (19) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 1413هـ (4/1948/216).
- (20) المقرئزي، الخطط المقرئزية، بغداد، د.ت، 371/2.
- (21) عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، 1959، ص 121.
- (22) رشيد، ناظم رشيد، التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في بلاد الشام، مجلة آداب الرفادين، الموصل، 1979، ع(10)، ص 275.
- (23) مصطفى شاكرو: المدن في الإسلام، الكويت، 1988، 701/2.
- (24) السبكي، طبقات الشافعية، 3/137.
- (25) ابن الأثير، الكامل، 481/8.
- (26) المقرئزي، الخطط المقرئزية، 363/2.
- (27) ابن الأثير، الكامل، 8/212؛ ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دبي، 2002، ص 177.
- (28) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت: 1992م، 16/304.
- (29) ابن الجوزي، المنتظم، ابن خلكان، وفيات الاعيان، 1/396.
- (30) المقرئزي، الخطط، 363/2.
- (31) أبو شامة، الذيل على الروضتين، بيروت، 1974، 16/1؛ المقرئزي، الخطط، ص 363.
- (32) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 61-62.
- (33) المقرئزي، الخطط المقرئزية، 363/2.

- (34) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بغداد، د/ت، ص434.
- (35) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص248.
- (36) النعيمي، المدارس في تاريخ المدارس، 1/27.
- (37) النعيمي المدارس في تاريخ المدارس، 1/301.
- (38) النعيمي، المصدر نفسه، 1/373.
- (39) النعيمي، المصدر نفسه، 1/507-508.
- (40) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3/ق2/544.
- (41) ابن الاثير، الكامل، 8/212: محمود شكري الالوسي، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، بغداد، 1446هـ. ص120-103.
- (42) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص218.
- (43) رحلته، المصدر نفسه، ص194.
- (44) النعيمي، المدارس في تاريخ المدارس، 2/138.
- (45) الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت، 1982، 14/205.
- (46) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص199.
- (47) علاء قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية، عمان، 2015، ص58-59.
- (48) برمة عبد الكريم نورين، الحياة العلمية في العهد الزنكي، بحث منشور جامعة الخرطوم، كلية الآداب، د/ت، ص21.
- (49) الفارقي، تاريخ ميفارقين، القاهرة، 1959، ص37.
- (50) ابن الأثير، دت، 93.
- (51) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/265.
- (52) ابن الأثير، الكامل، 9/228.
- (53) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/95.
- (54) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص193.
- (55) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص168.
- (56) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص414.



- (57) ابن المستوفي، تاريخ اربل، بيروت ، 2011 ، 2/596؛ ابن كثير، البداية والنهاية، د/ت، 17/78.
- (58) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 199/9؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، 1/228.
- (59) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 5/1968-311-317.
- (60) ابن كثير، البداية والنهاية، 12/269.
- (61) ابن الأثير، الباهر، ص154.
- (62) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ج1، ق2/480.
- (63) ابن كثير، البداية والنهاية، 16/446.
- (64)الصفدي، الوافي بالوفيات ، بيروت ، 3/2000/266.
- (65) ابن الاثير، الكامل، 9/248
- (66) ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، بغداد ، 1934، ص95.
- (67) ابن الاثير، الباهر، ص189.
- (68) ابن الأثير، الكامل، 9/228 ،
- (69) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/95.
- (70) ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية . بيروت ، 1986 ، 2/67.
- (71) ابن الأثير، الباهر، ص 201؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، بيروت، د.ت، 3/144.
- (72) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 1/193.
- (73) ابن خلكان، المصدر نفسه، 4/114.
- (74) ابن الأثير، الكامل، 10/280.
- (75) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت، د/ت، ص410.
- (76) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/82.
- (77) السبكي، طبقات الشافعية، 8/81.
- (78)القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ، د.ت، 2/199.
- (79) سرفتكين بن عبد الله الزيني، كان مملوكاً أرمنياً لزين الدين علي صاحب إربل، وكان صالحاً فأعتقه وتقدم عنده، وأعتد عليه واستنابه في المملكة، بنى مساجد كثيرة بإربل، كما بنى مدرسة القلعة بإربل، توفي سنة 559هـ/1163م. ابن خلكان. وفيات الاعيان، 2/237-239.
- (80) ابن خلكان، المصدر نفسه، 2/238.

- (81) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ص145.
- (82) ابن المستوفي، المصدر نفسه، ص337، 145.
- (83) ابن المستوفي، المصدر نفسه، ص175.
- (84) المستوفي، المصدر نفسه، ص174، 300.
- (85) ابن المستوفي، المصدر نفسه، ص145؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/344.
- (86) ابن خلكان، المصدر نفسه، 2/344.
- (87) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ص145.
- (88) نظام الدين البقش: وهو نظام الدين البقش، الذي كان مملوكاً لصاحب ماردين أيلغازي بن ألبى بن تمرتاش بن أيلغازي بن أرتق، الملك قطب الدين، وأصبح مسؤولاً عن أولاده بعد وفاته لصغر سنهم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/637؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 10/18.
- (89) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/194؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، 1/543.
- (90) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 19/435-436؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د/ت، 5/223.
- (91) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/265؛ قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية، ص54.
- (92) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ص199.
- (93) الفارقي، تاريخ ميفارقين، ص37.
- (94) قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية، ص56.
- (95) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج3، ق2/544؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، دت، 5/329.
- (96) قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية، ص55.
- (97) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج3، ق2/344؛ قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية، ص58.
- (98) ابن اللمش، تاريخ دنيسر، تحقيق: ابراهيم صالح، دمشق: 1992، ص114-116.
- (99) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص194.
- (100) ابن اللمش، تاريخ دنيسر، ص89.
- (101) المارديني، تاريخ ماردين من كتاب (أم العبر)، دهبوك 2002، ص60.



- (102) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1/155، 212.
- (103) ابن شداد، المصدر نفسه، ج3، ق1/150-157.
- (104) ابن شداد، المصدر نفسه، ج3، ق1/157؛ القرشي، الجواهر المضبوطة في طبقات الحنفية، كراتشي، د.ت، ص261.
- (105) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/151.
- (106) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 18/233.
- (107) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت:1964، ص236-237.
- (108) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ق2/531.
- (109) سترك: مادة حصن كيفا، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة:1969، ج7/455.
- (110) ابن الحنبلي، درر الحبيب في تاريخ أعيان حلب، دمشق:1972، ج1، ق1/202.
- (111) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/57.
- (112) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 2/398.
- (113) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/136.
- (114) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/57.
- (115) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/236.
- (116) طغتكين الأمير أبو منصور، المعروف بأتابك، كان شهماً، مُهيباً شديداً على الفرنج، والمفسدين، لقب بظهيرالدين، وكان عاقلاً خبيراً، عادلاً، حسن السيرة، مديراً للممالك، أقام حكماً على الشام خمساً وثلاثين سنة، توفي سنة 522هـ/1128م، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 11/378.
- (117) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص148.
- (118) ابن المستوفي، تاريخ اربل، 2/643؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/504.
- (119) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص148.
- (120) ابن شداد، المصدر نفسه، ج3، ق1/258.
- (121) السبكي، طبقات الشافعية، 4/314؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/57.
- (122) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، 1/258.
- (123) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص221.
- (124) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1/41.

- (125) محمود عبيد جميل الدليهي، الحياة العلمية والفكرية في مدينة حران خلال العصر العباسي، عمان، 2017م، ص 105.
- (126) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1/276.
- (127) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص 124.
- (128) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في القرآن الكريم أدب العالم والمتعلم، بيروت، د/ت، ص 35-36.
- (129) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 410؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1/173.
- (130) النعيمي، المصدر نفسه، 2/133.
- (131) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 65 و 171؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 5/161.
- (132) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 261.
- (133) ابن جبير، المصدر نفسه، ص 261.
- (134) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 37-172-176؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 2/554-555.
- (135) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 14/530.
- (136) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، 3/ق1/276.
- (137) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الأيوبي، القاهرة، 1968، ص 83.
- (138) السبكي، طبقات الشافعية، 4/105.
- (139) ابن الصلاح، علم الحديث، بيروت، د/ت، ص 137، 132؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، 1979، 5/26.
- (140) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1/431-433.
- (141) محمد أسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، بيروت، 1957، ص 157.
- (142) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص 44.
- (143) ابن جماعة، المصدر نفسه، ص 44.
- (144) ابن جماعة، المصدر نفسه، ص 38.
- (145) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 2/138.
- (146) النعيمي، المصدر نفسه، 1/194.
- (147) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1/194.



- (148) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 5/312-313: ابن كثير، البداية والنهاية، 3/378-379.
- (149) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 2/297-299؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 3/494.
- (150) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 3/544-555؛ 1979، 5/212-213.
- (151) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 200.
- (152) البنداري، سنا البرق الشامي، بيروت: 1971، ص 55-60.
- (153) أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج1، ق1/140.
- (154) البنداري، سنا البرق الشامي، ق 1/144.
- (155) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/88.
- (156) ابن الأثير، الباهر، ص 9، سبط بن الجوزي، المنتظم في اخبار الدول، ج8، ق1/204.
- (157) النعيمي، الدارس في اخبار المدارس، 1/152.
- (158) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 53.
- (159) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 432.
- (160) محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق، 1948، 6/69.
- (161) عبد الدايم عبد الله، التربية عبر التاريخ، 1984، ص 174.
- (162) ابن جماعة، تذكّر السامع، ص 45.
- (163) القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، القاهرة، 1383هـ/1963، 13/327.
- (164) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 4/232؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 2/151-154.
- (6) ناظر الوقف: هذا المنصب يشبه مدير المدرسة حالياً، ومن اهم مهماته أن يقوم بعمارة المدرسة وشراء لوازمها من الزيت والمصاييح والحصر والبسط، و صرف رواتب المدرسين والفقهاء والقيم والمؤذن وللناظر راتب معلوم من أموال الوقف مقابل تعبه وخدمته واشرافه للأملاك الموقوفة.
- الحازمي: 1421هـ، 1/329-330.
- (7) القيم: وهو من يقوم بكنس المدرسة، ورشها، وفرشها، وتنظيفها وايقاد المصاييح الحازمي، 1421هـ 331/1.
- (8) المعيدون: هو من يعيد الدرس على الطلبة بعد انصراف المدرس، فهو اقل رتبة من المدرس. السبكي، طبقات الشافعية، ص 88.
- (168) حسين أمين، تاريخ العراق في عصر السلجوقي، بغداد، 1965، ص 232.

- (169) علي سالم النباهين، نظام التربية في عصر دولة المماليك بمصر، القاهرة، 1981، ص309-310.
- (170) النباهين، المرجع نفسه، ص310.
- (171) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج4/232؛ النعيمي، المدارس في تاريخ المدارس، 151/2-156.
- (172) النعيمي، المصدر نفسه، 1/606.
- (173) السبكي، طبقات الشافعية، 4/18.
- (174) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص248.
- (175) النعيمي، المدارس في تاريخ المدارس، 1/332.
- (176) ابن كثير، البداية والنهاية، 12/383؛ عماد الدين خليل، الامارات الارتقية، ص507.
- (177) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 3/53.